

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٤٠ - الخميس ٣ شعبان ١٣٨٣ هـ - ١٩ ديسمبر ١٩٦٣ م . السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

أنواع الشعر الثلاثة

ما ذهب منها وما بقى

بقلم : أحمد حسن الزيات

بدأ الشعر غنائيا فى كل أمة تهيأت له ، بحكم الفطرة وفعل الإقليم . والمراد **بالشعر الغنائى** ما يقوله الشاعر تعبيرا عن خوالج نفسه وتصويرا لمدارك حسه وتسجيلا لخواطر ذهنه ، **كالغزل والمدح والهجاء والرثاء والفخر والوصف والعتاب والشكوى** مما لا يخرج عن شخص الشاعر ولا يدخل فى شأن غيره .

أما نسبته الى الغناء، فلأنه كان فى الدهر الأول ينشد على القيثار فى المعابد تسبيحا للآلهة وتأثيرا فى النفس . وكان الكهان كما قلت فى كلمة سابقة يتخيرون **لأناشيدهم اللفظ المصون العذب** ، والأسلوب الجميل الفخم ، ليكون الكلام الذى يرفع الى السماء اسمى واجل من الكلام الذى يقال للأرض .

فلما انتقل الشعراء من **المعابد الى القصور** ، ومن **مدح الآلهة الى مدح الملوك** ، احتفظوا للشعر بلغته الخاصة وعبارته المختارة وانشاده الموقع ، فظلوا ينشدونه فى المحافل والمجامع بلحون تختلف باختلاف البحور ، وتتفاوت بتفاوت الحناجر ، وقد سموا **الأعشى** صناجة العرب لحلاوة صوته وحسن انشاده . واستمر ذلك دأبهم بعد الجاهلية ؛ فكان الشاعر ينشد قصيدته قائما بين يدى الخليفة

او الأمير ، فاذا لم يكن حسن الانشاد اقتنى غلاما رخيم الصوت ليقوم عنه به .. وقد قالوا ان **الرشيد** كان يطرب للانشاد اكثر مما كان يطرب **للغناء** .

ونشأة الشعر في المعبد وصلته بالغناء يتفق فيهما كل شعرفي كل أمة ، ولا يزال **الاوربيون يقولون كما كان يقول الاغريق والرومان والعرب : أنشد الشاعر شعره أو غناه ، ولا يقولون : القاه أو أداه** .

ثم انتقل الشعر مرة أخرى من القصر الى المدينة وخرج الشاعر من دنياه الى دنيا الناس . وكانت الآلهة قد صنعت **الخوارق** ، والأبطال قد أتوا **بالمعجزات** . فنسجت حولهم الأساطير واستفاضت عنهم الأحاديث وتناقلتها الأفواه جيلا بعد جيل . فجاءالشعراء **فنظموا هذهالوقائع ملاحم** ،وانشدوها الشعب ليذكروه بأمجاد قومه ، ويثقفوه بسير أبطاله ، **وهذا هو الشعر القصصي** .

ومنه في تاريخ الأدب العالمي ، **الالياذة لليونان ، والانياد للرومان، وما هابهاراته للهند، والشاهنامه للفرس ، وسيرة بني هلال للعرب ، والملهاة الالهية للطليان ، والفردوس المفقود للانجليز ، وهنرياد للفرنسيين** .

ثم انتقل الشعر مرة أخيرة من **الخيال الى الواقع ، ومن الكلام الى الحركة ، ومن المدينة الى المسرح** ، وكان الفكر الانساني قد نضج ، والأثر الفلسفي قد شاع ، والنظام الاجتماعي قد تعقد ، فاتخذ الشعراء **القصص الشعري** وسيلة للاصلاح **بتمثيل ابطال القصة على المسرح** ، وجعلهم يقولون بألسنتهم ويعملون بأيديهم مارواه القصاص عنهم ، ابتغاء تقوية النفوس المريضة بالعواطف النبيلة والمثل العليا كما في المأساة ، أو تقويم المعوج من الأخلاق والعادات باتخاذ أهلها مضحكة للناس كما في الملهاة، وهذا هو الشعر التمثيلي .

فأنت ترى ان الشعر قد تطور في تاريخ **الانسان اطوارا ثلاثة** يتطورها كل شاعر في **ذاته** وكل شعب **في مجموعة** ، وهي الغناء المهدهد في الطفولة ، **والقصص الحماسي في الشبيبة ، والتمثيل الفلسفي في الكهولة** : ففي الأول يتغنى الشاعر بما يحلم به ويتخيله ، وفي الثاني يقص ما يسمعه أو يعمله ، وفي الثالث يصور ما يلحظه ويتمثله .ومنبع الأغاني الوهم والخيال ، ومنبع الحماسة العظمة والجلال. ومنبع التمثيل الحقيقة والواقع . **ومظاهرها في عمر الخليقة هي التوراة والالياذة وشكسبير** .

ولم يمر الشعر بهذه الأطوار **الثلاثة** مدفوعا بقوة السليقة جاريا على سنة الطبيعة الا عند الاغريق لأسباب **فطرية واقليمية** . اما عند الرومان ومن خلفهم من الأمة اللاتينية فلم تتم للشعر هذه الأطوار **الا بتقليد الاغريق والأخذ عنهم** .

اما الشعر القصصي **وهو يقوم على الاعاجيب والاكاذيب والخوارق** فقد كان له بلاغه في العقول ومساغه في الأذواق حين كان الناس لايزالون **الحرب والحب** . ويفتنون بالبطولة والقوة ، ويصدقون **بالهواتف والرؤى** ، ويؤمنون **بالكهانة والسحر** ، ويعتقدون في **الأبطال والملوك** .. فلما قوى العقل واستبصر الفكر وكشف العلم للانسان الحديث خبايا الكون واسرار الطبيعة ، **فلم تعد التهاويل تروعه ، ولا الاباطيل تخدعه** ، مع ذوقه هذا اللون من الشعر واكتفى منه بالمأثور عن الأقدمين يقرأه على اعتباره صورا لعصور تقضت ومشاعر لأمم خلت . وأصبح من العسير على الشاعر القصصي أن يوفق بين الملحمة المبنية على الخوارق والوهم ، وعقلية العصر القائمة على **الوقائع والعلم** .

واما الشعر **التمثيلي** وهو **شعر الاناقة والترف** فقد كان له في أوربا **نفاق واشراق** ايام كان المسرح **للخواص لايشهده الا الملوك والنبلاء والقادة** . وهؤلاء قد فرض عليهم نظام الفروسية او الفتوة في تلك العصور أن يجمعوا بين ادب السيف وادب اللسان ، فكانوا يتفاصحون في الحديث ويتفاخرون بالأدب ويتنافسون في الشعر ، واصبح ذلك بدع العصر وهوايته . وفي القرن السابع عشر اشتد التشدق بالفصاحة حتى أصاب جماعة من النساء ، سخر « **موليير** » من حذلقتهن في مسرحيتين من مسرحياته .

واستمر اشراق **الشعر المسرحي** ونفاقه حتى اقبل القرن العشرون ، وكانت **الديمقراطية** قد غلبت على المسرح ، **والواقعية قد هيمنت علىالأدب**، وكان المسرحيون قد فطنوا أخيرا الى أن شرط الامكانية في الشعر المسرحي مفقود ، وأن الناس الذين يمثلونهم او يمثلون لهم لم يكونوا في الواقع

يتحاورون بالشعر ولا يتجادلون بالمجاز ، وأنهم يكلمون اوساط المثقفين او انصافهم شططا بتتبع السياق القصصي بين اوزان الشعر وقوافيه ، وفي غموض لغة الشاعر وتراكيبه ، فاتعمدوا في تغليب ادب الخاصة على ادب العامة ، وقصدوا الى تقريب لغة المسرح من لغة الحياة ، فانكفأ الشعر التمثيلي عن المسارح وانزوى في المتحف الأدبي بجانب الشعر القصصي ، ينتظر من يخرجه الى الأدب لا الى المسرح ، وينشره للقراءة لا للتمثيل .

ولقد جاء دور الأدب العربي في الشعر المسرحي بعد أن مضى زمنه واضمحل شأنه ، فلم تجد مسرحيات شوقي ولا روايات عزيز اباظة شعب اسخيلوس وسوفكليس ، ولا جمهور راسين وشكسبير، وانما وجدت جمهورا خاصته للواقعية وعامته للأمية ، فلم يفهم مرامي البيان في الفصحى، ولم يدرك اسرار الجمال في الشعر ، فخرج من مشاهدتها غائب الراي والوعي لايدرى على وجه اليقين اى شيء راى ولا اى كلام سمع !

اذن لم يبق في العالم اليوم من تراث (ابولون) الا الشعر الغنائي ، وهو فيض الوجدان وعبير الروح واحلام النفس وانغام الغاب وحداء البشرية المرفه في طريق الحياة الوعر . صفا من شوائب البهيمية في العصور الطاغية كالمدح الكاذب والهجاء الفاحش والغزل الشاذ ، ثم خلص للتأملات والوجدانيات والوطنيات والاغاني والاناشيد وهي علة وجوده وسر بقائه .

وهذا النوع من الشعر هو كما قلت اصل الانواع الاخرى ، فجذوره ضاربة في اعماق الازل ، وفروعه ممتدة في آفاق الأبد . فهو باق ابدا لأن البواعث التي تستدعيه لا تنقضي ، وهو جديد ابدا لأن العواطف التي تغذيه لا تتقادم .

سيبقى مادام للشاعر قلب ووجدان ، وسينشد مادام للمغني صوت والحان . وسيسمع مادام في الانسان نزوع الى مثل ، وطموح الى امل !

احمد حسن الزيات

نعي الإمام الأكبر

تنعى الرسالة الى العالم الاسلامي علما من اعلام الدين . واماما من ائمة الفقه ، ولسانا من السنة الدعوة ، وزعيما من زعماء الاصلاح، واستاذا من اساتذة الرسالة . هو الامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

لقى الله في الهزيع الأول من ليلة الجمعة الماضية وبين يديه صحيفة من صحف الخلود سجل فيها جهاده الدائب الخالص في سبيل القرآن زهاء نصف قرن ، ينشر مبادئه ويعلن اسراره . ويفصل احكامه، ويفسر آيه ، بما يؤلف من الكتب ويصدر من الفتاوى ، ويكتب من المقالات ، ويلقي من المحاضرات ويذيع من الأحاديث ، وكل ذلك أداه بالفهم السليم والاجتهاد المستقيم والاطلاع الواسع والقلم المبين واللسان الذلق ، فكان رابع ثلاثة اصطفاهم الله في زمن البدع والشبه والأضاليل لتجديد دينه وتبيين شرعه . وهم الأئمة : محمد عبده ومصطفى المراغي وعبد المجيد سليم . وكان من أثر هذا الجهاد المتتابع في تنبيه الاذهان الى الاصلاح أن تطور الأزهر في عهد الثورة هذا التطور الجديد .

لقد لقي شيخ الاسلام والمسلمين ما لقي أصحاب الرسالات من الكيد والعنت فاوذي في سبيل الكلمة ، ومرض في سبيل الأزهر ، واستشهد في سبيل الله . . . ولهذا الاجمال تفصيل ستقرأه في العدد القادم ان شاء الله .

ترجمة القرآن الكريم
بين من يمنعها ومن يوجبها على الأمة

للأستاذ محمد محمد المدني

تكلم الناس قديما وحديثا في هذا الموضوع ، وكثر الجدال فيه ولا سيما في عصرنا الحاضر .

وهناك فريقان :

فريق : يرى أن الترجمة غير جائزة شرعا ، بل غير ممكنة .

وفريق : يرى عكس ذلك فيقول انها جائزة ، بل واجبة على المسلمين وجوبا كفائيا ، اى انها مصلحة عامة للاسلام والمسلمين ، فيجب على مجموع الأمة أن تعمل على حصولها وتمامها ، والا كانت مقصرة آثمة .

وليس من سبيلنا في هذا المقال أن نستوعب جميع الأدلة التي أتى بها كل فريق من هذين الفريقين ، ولا أن نعنى عناية تفصيلية بما رد به كل فريق على مخالفيه ، لاننا لو فعلنا ذلك لطال الأمر وثقل على القراء ، فنكتفي بأن نعرض في شيء من القصد للأسس التي قام عليها هذا الجدل من الجانبين ، ثم نبدى رأينا ، والله المستعان :

اولا : الأسس التي انبنى عليها رأى المانعين :

ان هؤلاء الذين يمنعون ترجمة القرآن يستندون الى ما يأتي :

١ ـ القرآن عربي ، وهذه حقيقة يقررها القرآن نفسه فيقول «انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» «قرآنا عربيا غير ذي عوج» ، «فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم ، وانه لذكر لك ولقومك» ، «ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته» ، الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تقرر أن القرآن هو ذلك اللفظ العربي المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فهم يقولون لو ترجم القرآن الى لغة أخرى لم يصبح قرآنا ، لان كونه عربيا جزء من مفهومه ، اى ركن من اركان حقيقته .

٢ ـ ثم ان الترجمة الصحيحة التي تؤدى معنى القرآن تمام الأداء غير ممكنة ، لانه ان ترجم ترجمة حرفية بمعنى ان ينقل كل لفظ عربي الى المقابل له من اللغة الأجنبية ، كانت هذه الترجمة ركيكة ضعيفة ، ولم تؤد المعاني المقصودة من القرآن، فيضيع جمال اللفظ العربي ، وجمال المعنى ، بل تضطرب المعاني اضطرابا شديدا . وان ترجم دون ملاحظة للألفاظ ، بل أخذ المعنى من الجملة وصيغ في قالب من اللغة الأخرى ، فان ذلك غير ممكن أيضا لأن القرآن في اللفظ العربي يفهم بأوجه متعددة ، والمترجم طبعا سيختار وجها من هذه الأوجه ويؤديه باللغة الاجنبية ، فتضيع الأوجه الاخرى ، وبعبارة أخرى يقولون : ان للقرآن معاني كثيرة ، وهو تنزيل من حكيم حميد ، فلا يمكن لمخلوق ـ مهما برع في اللغة العربية واللغة الاجنبية ـ أن يحيط بجميع معانيه فيترجمها .

٣ ـ ثم ان هذا الشيء لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ، ولا أهل الصدر الأول من المسلمين ، ولو كانت الترجمة جائزة لفعلوها ، وقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم كتبا الى الملوك وكان منها مثلا كتابه الى هرقل ملك الروم ، وهذا نصه ـ وفيه آية قرآنية ـ : « من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام . أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فانما عليك اثم الأريسيين ـ أى العامة والدهماء من القوم ـ و « يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » فرسول الله صلى الله عليه وسلم ضمن كتابه هذا ـ وكذلك كتبه التي أرسلها الى كسرى والمقوقس والنجاشي ـ هذه الآية من سورة آل عمران ، ولو كانت ترجمة القرآن جائزة لارسل الكتاب اليهم بلغاتهم ، وترجم هذه الآية في كل كتاب ارسله بلغة صاحبه .

٤ ـ ثم انه يترتب على ترجمة القرآن مفاسد كثيرة :

منها أن الترجمات قد لا تتفق فيقع لنا ما وقع

لغيرنا من أهل الأديان الأخرى ، كاختلاف نسخ التوراة السامرية والعبرانية واليونانية .

ومنها أن الناس يكتفون بلغاتهم ولا يجدون فى تعلم اللغة العربية ، وهى لغة الدين الاسلامى ، وبذلك تضعف هذه اللغة شيئا فشيئا بقلة أهلها وربما انقرضوا ، فيضيع القــرآن العربى وتبقى الترجمات ، وفى ذلك من الخطر على كيــان الأمة العربية ، وكيان الدين الاسلامى ماهو ظاهر لا يحتاج الى تطويل .

والتاريخ يدلنا على ذلك فان تمسك السابقين بهذا القرآن عربيــا ، حمل الأمم الأخرى على تعلم لغة العرب ، فكان لذلك فائدة كبرى ، وهاهى ذى مصر وأخواتها العربيات كالعراق والشام وتونس والجزائر والمغرب الأقصى ، قد تعلمت اللغة العربية وصارت مهدا لها فى عصرنا الحاضر ، ولولا ذلك لبقيت مصر على اللغــة القبطية ، أو الرومية ، والعــراق على الفارســية وهكذا ، ولــكان هذا نكبة على العروبة والاسلام .

هذا أهم ما استند اليه المانعون .

ثانيا : الأسس التى انبنى عليها رأى المجيزين :

ان هؤلاء يستندون الى مايأتى :

١ ـ القرآن تبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهوالذى نزل عليه قوله تعالى«ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته » والنبى قد بلغ العرب بلسانهم ، ويجب على العرب أن يبلغوا غيرهم من الأمم نيابة عنه ، ولذلك صح عنه انه قال فى خطبة الوداع « فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

ورسالته صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الأمم ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ، « وما ارسلناك الا كافة للناس » ، « وأوحى الى هذا القــرآن لأنذركم به ومن بلغ » ، ومن قــول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان النبى يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت للناس عامة » .

ولا يمكن تبليغ جميع الأمم الا بالترجمة للغاتهم ، واذا انتظرنا حتى يتعلموا اللغة العربية ثم يفهموا القرآن بها لانتظرنا قرونا طويلة ومع ذلك لا تضمن النتيجة ، واذن فلا بد من ترجمة القرآن بلغات هذه الأمم ليتم مانحن مكلفون به من التبليغ ، والا كانت الأمة مقصرة مضيعة واجبها .

٢ ـ النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى الملوك باللسان العربى ، اعتزازا بلغته ، وهم قد ترجموا كتبه وفيها تلك الآية التى تقدم ذكرها ، فارسالها اليهم فيه اشعار بالاذن بترجمتها .

وفى ذلك يقول البخارى «قال ابن عباس : اخبرنى ابو سفيان ابن حرب أن هرقل دعا ترجمانه ، ثم دعا بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقرأه .. الخ» .

ويقول شارحه ابن حجر فى كتابه فتح البــارى « ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل باللسان العربى ، ولسان هرقل رومى ، ففيه اشعار بانه اعتمد فى ابلاغه ما فى الكتاب على من يترجم عنه بلسان المبعوث اليه ليفهمه ، والمترجم المذكور هو الترجمــان ، وكذلك وقع ، **بل الحديث واضح الدلالة فى جواز ترجمة القــرآن لغير العربية** ، لأن كتاب النبى صلى الله عليه وسلم مشتمل على آية قرآنية ، وهى « ياأهل الكتاب تعالوا » الآية ، وقد كتب بها للنجاشى ملك الحبشة أيضا ، ولملك الفرس ، ولهرقل ، وكلهم أعجمى لا يعرف العربية ، فهو اذن منه عليه السلام فى ترجمتها للغات المذكورة كلها ، وقد جاء فى الصحيح عن أبى سفيان بن حرب أن هرقل لما جاءه الكتاب أحضر ترجمانه ، وما جاز فى آية واحدة جاز مثله فى بقية القرآن العظيم » .

٣ ـ ان مايفعله المفسرون ماهو الا ترجمة للقرآن ، وذلك أن مفسر القرآن الكريم يفهم المعنى من النص القرآنى ، ثم يعبر عنه بعبارة من عنده ، فاذا جاز للمفسرين أن يفعلوا ذلك فلماذا لا يجوز للمترجمين ؟ وما الترجمة الا تفسير ، وما التفسير الا ترجمة ، ولذلك كان ابن عباس يلقب بترجمان القرآن،وبعض المسلمين فسر القرآن بالفارسية ، وكل الأمم التى دخلت فى الاسلام من أهل الهند والصين والترك كانوا يفهمون القرآن وماقيه من هدى وتشريع ووعظ وقصص بلغاتهم .

٤ ـ ان بعض العلماء المتقدمين قد أجاز ترجمة

القرآن ومنهم الامام الزمخشرى المتوفى سنة ٥٢٨ حيث يقول فى كتابه الكشاف وهو يفسر قوله تعالى « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » :

« فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم للعرب وحدهم ، وانما بعث الى الناس أجمعين، بل الى الثقلين ، وهم على ألسنة مختلفة ، فان لم تكن للعرب حجة على الله لفهمهم القرآن بلغتهم ، فلغيرهم من الأعاجم الحجة ، قلت : لا يخلو : اما أن ينزل بجميع الألسنة ، أو واحد منها ، ولا حاجة لنزوله بجميع الألسنة ، **لأن الترجمة تنوب عن ذلك** ، وتكفى التطويل ، فبقى أن ينزل بلسان واحد ، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول ، لأنهم اقرب اليه ، فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر ، **قامت التراجم ببيانه وتفهيمه** ، كما نرى الحال ونشاهدها فى كل امة من أمم العجم » .

ومنهم الامام أبو اسحق الشاطبى المالكى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ اذ يقول فى كتابه « الموافقات ـ فى أصول الاحكام » .

« ان للكلام العربى دلالتين » :

احداهما : أصلية ، وهى الدلالة على المعانى الأولية وهذه تشترك فى أدائها جميع الألسنة ، ولا تختص بأمة دون أخرى .

ثانيتهما : ثانوية ، وهى التى تفيد معانى وراء النسب الأصلية .. وتختص هذه بلسان العرب ومزاياه » .

ثم استأنف فصلا آخر قال فيه : « واذا ثبت هذا فلا يمكن من اعتبر هذا الوجه الأخير أن يترجم كلاما من الكلام العربى بكلام العجم على أى حال ، فضلا عن أن يترجم القرآن ، وينقله الى لسان غير عربى،وقد نفى ابن قتيبة امكان الترجمة فى القرآن ـ ويعنى على هذا الوجه الثانى ـ فأما على الوجه الاول « الدلالة الأصلية » فهو ممكن ، ومن جهته صح تفسير القرآن ، وبيان معناه للعامة ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه ، وكان ذلك جائزا باتفاق أهل الاسلام ، فصار هذا الاتفاق حجة فى صحة الترجمة على المعنى الأصلى » .

ومن هذا النص يتبين ان الامام الشاطبى يفرق بين « المعانى الأصلية » و « المعانى الثانوية » فيقرر أن الاولى يمكن ترجمتها الى اللغات الأجنبية ، وأنها من هذه الجهة لاتعدو أن تكون تفسيرا كالتفسير العربى ، الذى يبين به القرآن للعامة ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه ، أما ترجمة « المعانى الثانوية » فغير ممكنة فى أى كلام عربى ، فضلا عن القرآن ، وهـذا هو الذى يريده ابن قتيبة حين نفى امكان الترجمة .

وبهذا يتمسك المجيزون للترجمة ويقولون : اننا لم نزعم ان الترجمة يجب أن تكون طبق الأصل تماما ، فان ذلك لا يقول به أحد ، وان المعانى الثانوية التى يفيدها النظم كثيرة ودقيقة حقا ، ولكن ليسع المترجمين ما يسع المفسرين ، فكما ان أساس عمل المفسر هو استخلاص ما يمكنه من الاصل والتعبير عنه بعبارة غير عبارة القرآن ، كذلك الشان فى المترجم ، فالمعنى القرآنى يستخلص من عبارة القرآن بحسب الطاقة وقواعد الفهم من اللغة العربية ، ثم يؤدى هذا المعنى الذى فهم بعبارة اللغة الأخرى ، واذا جاز الصنيع الأول ـ وهو التفسير ـ فلا بد من الحكم بجواز مثله ـ وهو الترجمة ـ والا كان ذلك تحكما .

٥ ـ قد أجاز الامام أبو حنيفة رضى الله عنه قراءة القرآن فى الصلاة بالفارسية لمن عجز عن قراءته بالعربية ، وكان يقول أولا بجواز ذلك ولو لغير العاجز ، ولكنه عدل رايه فيما بعد ، فأصبح يجيز ذلك للعاجز فقط ، يدل على ذلك ما جاء فى كتاب « مسلم الثبوت وشرحه » ، اذ يقول « وقد صح رجوع أبى حنيفة عن القول بجواز الصلاة بالفارسية بغير عذر ، وفيه اشارة الى أنه يجوز القرآن بالفارسية للعذر ، وهو عدم العلم بالعربية ، وعدم انطلاق اللسان بها ، وهو الصحيح ، وعليه الصاحبان ، اقامة للمعنى مقام النظم لاجل العذر » .

وجاء فى شرح الكنز للزيلعى « وأما القراءة » بالفارسية فى الصلاة فجائزة فى قول أبى حنيفة وقال أبويوسف ومحمد : لا تجوز اذا كان يحسن العربية » .

هذه خلاصة الرأيين المتعارضين ، وصفوة ماذكر من الأدلة التى احتج بها كل من الفريقين .

ونحن نستطيع بعد هذا أن نقرر ما يأتى :

أولا : ليس هناك خلاف فى أن الترجمة الحرفية اذا اريد بها وضع كلمة أجنبية موضع كلمة عربية مع التزام الترتيب العربى ، من شأنها ان تفسد الكلام .

واذن فليخرج هذا النوع من البحث ، فليس هناك من يقول به أو يراه ممكنا .

ثانيا : اذا اريد بالترجمة الحرفية ما عبر عنه الشاطبى بترجمة المعانى الأصلية دون التعرض للمعانى الثانوية ، فان الترجمة حينئذ ممكنة مقدورة

وفى المعانى الأصلية ما يكفى للهداية بالقرآن ، وتبليغه الى الأمم الأخرى .

والشاطبى يقرر هذا فى ثقة ويحكم بأنه أمر مجمع عليه ، ويجعله شبيها بالتفسير

ثالثا : لا خلاف بين المسلمين فى أن ترجمة القرآن لا تكون قرآنا ، لأن القرآن اسم للنظم والمعنى جميعا وليس اسما للمعنى فقط على ما بيناه فى بحث آخر

والمجيزون للترجمة لا يقولون انها تغنى عن اللفظ العربى ، أو تحل محله فى الاستنباط والرجوع اليه عند الاختلاف ، ولا يقول أحد منهم ان هذا المترجم هو كلام الله ، ولكن يقولون هو المعنى الذى فهمه صاحب الترجمة من كلام الله ، كما يقال فى التفسير هذا ما فهمه المفسر الفلانى ، والمحظور هو أن نفهم المترجم لهم أو المفسر لهم أن هذه المعانى المترجمة أو المفسرة هى مراد الله تعالى قطعا ، وهذا أمر متفق عليه بين الفريقين .

رابعا : ان الفريقين متفقون على وجوب تبليغ القرآن للأمم كلها ، غير أن من لا يجيز الترجمة يطلب من المسلمين الذين لا يعرفون العربية أن يتعلموا العربية ليعرفوا القرآن بلغته ، ويرى أن بذل القرآن للمسلمين أو غير المسلمين من أهل اللغات الأخرى فيه تعويق للغة العربية ، وأن الاحتفاظ بالقرآن عربيا من شأنه أن يجذب الناس الى تعلمها .

هذا ما يقوله الذين لا يجيزون الترجمة ، أما معارضوهم فيرون أن هذا أمل حلو ، ولكن الطمع فى تحققه طمع فى شىء بعيد ، ولا سيما فى عصرنا الحاضر ، فمن ذا الذى يتصور بسهولة أن ينتقل أهل أوربا أو أمريكا أو غيرهما الى اللغة العربية أو يهتموا بدراستها دراسة تعم جمهورهم وتمكنهم من فهم القرآن بها ، وهل فعل ذلك أهل فارس أو أهل تركيا أو اندونيسيا فى يوم ما مع أنهم اعتنقوا الاسلام واخلصوا له ؟

فهم يقولون : ان الاخلاص لمبادىء الاسلام وأحكامه والحرص على تبليغهما بترجمة القرآن هما الغرض الأول والأولى ، أما اللغة العربية ونشرها فذلك غرض حسن ولكنه يأتى فى المرتبة الثانية ، فلا يصح أن يعوق ما هو أول وأولى ، ليقدم ما هو ثانوى بالنسبة له .

خامسا : ان كثيرا من العلماء قديما وحديثا قد أجازوا ترجمة القرآن ، وان كثيرا من المسلمين فى مختلف الشعوب ، وفى حقب التاريخ المتتابعة قد ترجموا القرآن فعلا ، ولم يحدث من ذلك ضرر على القرآن ولا على الاسلام ، وكذلك ترجم القرآن من غير المسلمين ، وهناك عشرات من الترجمات فى مختلف اللغات تعج بها مكتبات العالم الغربى والأمريكى ، فليس من الرأى أن نغمض أعيننا عن هذا الواقع تخوفا مما يتخوف منه المانعون ولا مبرر للتخوف منه .

والنتائج التى نستطيع أن نأخذها من هذا كله ومن غيره هى :

(١) أن ترجمة القرآن الكريم ممكنة على أن تؤخذ المعانى التى تفهم من كل آية فتنقل الى اللغة الاخرى بأسلوبها .

(٢) أنه يجب النص فى مقدمة التراجم على أن هذه الترجمة انما هى فهم أصحابها للقرآن وان النص العربى هو الذى عليه المعول ، وهو القرآن وحده .

(٣) أنه ـ زيادة فى توضيح ذلك ، ورعاية لما يشترطه كثير من العلماء المجيزين للترجمة ـ يحسن ان تكون الترجمة منضمة الى القرآن نفسه فى كل صفحة من صفحاتها ، حتى يشعر قارئها بأنه انما يقرأ كلاما مترجما ، وحتى نقطع السبيل على من يحاول جعل الترجمة أساسا يغنى عن الاصل

(٤) ـ أننا نقر فكرة المجيزين للترجمة ، فى أن هذا فرض كفاية على المسلمين ، يجب على ولاة أمورهم أن يفعلوه ، فان قصروا فيه كانوا مقصرين فى مصلحة عامة من مصالح الدين .

محمد محمد المدنى

المستويات الثقافية

للدكتور محمد أحمد خلف الله

الاستاذ رينه حبشي من الفلاسفة المحدثين . ولد في القاهرة ، وتربى في مدارسها ، وعاصر الاحتلال البريطاني أيام كان الجند الانجليز ينتشرون في بقاع شتى من مدينة القاهرة ، وله في ذلك من الذكريات المؤلمة ما عبر عن بعضه : «ان طفولتي في مدينة القاهرة تضج بالاضطراب من هذه الحامية البريطانية التي كانت تقوم بالحراسة في قلب المدينة وفي وسط ساحة المحطة ..

واعترضتنا في شبابنا مداخلات المفوضين الساميين والسفراء الذين كانوا يؤلفون الوزارات ويقيلونها وفق ضرورات الظروف ـ داعين الى الحكم بعض الرجال المسايرين ، مستميلينهم بشتى الطرق ، حتى اذا ما حاولوا المقاومة سيقوا الى المنفى كسعد زغلول .

ان لكل منا ولا شك ذكرياته المرة .

وبلادنا الشرقية ، قد استيقظت كل بدورها ، في جو من الضغط والجزع لم ينجع العلاجان الوثانيان : الجامعة العربية وحلف بغداد ـ في اقالتها منه .

يذكر بعضكم احسن مما اذكر هذه المرحلة من تاريخنا .. » .

ورينه حبشي الفيلسوف انما يذكر هذا القول بيانا وتوضيحا لموقف الامة العربية من الثقافة والحضارة الغربية ، وهو موقف يتسم بالحقد والكراهية لانه موقف من يكره الاستعمار وكل ما يجيء من بلاد المستعمرين .

ورينه لا يكره الثقافة الغربية وانما يدعو الى التعمق فيها والأخذ منها، وخلق متوسط ثقافي خاص بنا . ومن أجل هذا يتعرض الى بحث قضايا كثيرة تتصل بانتقال الحضارات ، والتقاء الثقافات ، وما يستتبع ذلك كله من تفاعلات .

والقضية التي نريد ان نقف عندها اليوم قضية ثقافية خالصة تطلعنا على تركيبنا الثقافي قبل ان تطلعنا على التقاء الثقافات المختلفة ، وتفاعلها تفاعلا ينتج عنه ذلك المتوسط الثقافي الذي يدعو اليه الاستاذ رينه حبشي .

ودرجات المعرفة التي تتكون منها ثقافة كل امة ، على تفاوت في النسب ، والتي تدل دلالة حقيقية على المستوى الذي وصلت اليه الامة من النضج الثقافي ، والرقي العقلي ، والتقدم الحضاري ، اربع ، هي على التوالي :

(أ) محاصيل الاختبار .
(ب) قوانين العلم .
(ج) مذاهب الفلسفة .
(د) الرؤى الدينية المتولدة من الوحي .

والدرجة الاولى والتي تسمى بمحاصيل الاختبار تعتبر في مستوى يسميه رينه حبشي بمادون العقل. وذلك لان الانسان يكون فيها واقفا عند حدود ردود الافعال الناتجة عن الغرائز والانفعالات الطبيعية مما ليس للعقل سلطان عليه .

والدرجة الرابعة أو الاخيرة وهي التي تسمى بالرؤى الدينية المتولدة عن الوحي تعتبر في مستوى يسميه رينه حبشي بما فوق العقل . وذلك لان الانسان ملزم بالتصديق بكل ما يجيء به الوحي . ملزم بالتنفيذ لكل ما يدعو اليه الوحي ـ وليس للعقل البشري أن يقبل او يرفض ما يجيء به الوحي اعتمادا على ما وصل اليه الانسان من منطق بشرى ، مهما يكن حظ هذا المنطق من الرقي والتقدم .

والدرجتان الثانية والثالثة وهما قوانين العلم ومذاهب الفلسفة هما اللذان يعتبران في مستوى العقل، ولا جدال في ذلك ، من حيث انهما من نتاج العقل ، ومن حيث ان العقل البشري يتناولهما بالتعديل فيصحح الخطأ ، ويبتر الفاسد ، ويجرى التجربة تلو التجربة في سبيل التطور الحضاري والسعادة البشرية .

***

والامة التي تسود فيها الدرجة الاولى من درجات الثقافة وتقف عند حدود محصول الاختبار تبقى امة متخلفة . أمة يبقى العقل البشري فيها تحت رحمة الغريزة ويسخر لخدمتها وتحقيق اهدافها .

ان الثقافة الاختبارية تكتفي بوصفات عملية ، ولا تهتم بالقوانين والنظريات العامة والحقائق الصالحة لجميع الاذهان . وتكون في الغالب ثقافة نفعية تدعو الواقف عند حدودها ، الى الأثرة ، ولا تأخذ بيده أبدا الى المعاني الجليلة ، معاني التضحية والايثار .

والامة التي تسود فيها الدرجة الاخيرة من درجات الثقافة وهي درجة الرؤى الدينية قد يخشى عليها من خطر الانصراف عن هذه الحياة الدنيا ايمانا منها بأن الخير والسعادة انما يكونان في الحياة الآخرة .

ان الامة التى تفعل هذا **تتخلف من غير شك** ، وتصبح عرضة لان يفرض عليها الغير سلطانه . وتكون بعيدة كل البعد عن أن تفهم مقتضيات الدين.
ومن هنا تثبت القيمة الحقيقية للدرجتين الثانية والثالثة ، قوانين العلم ومذاهب الفلسفة .

ان الثقافة المنزلة ـ **ثقافة رجل الايمان المنتشرفى امتنا العربية ـ لا تحتقر العقل ، ولاتحتقر الغريزة ، ولا ترمى بحال من الاحوال الى اضعاف الانسان فى اية طاقة من طاقاته** ، انها على العكس من ذلك . انها تهدف الى ترقية الانسان فى حدود طبيعته البشرية ، معلنة اياه مواطنا من مواطنى العالم الذين يؤمنون **بالانسان** باعتباره **انسانا** بصرف النظر عن **جنسه ، ولغته ، ووطنه .**

ان الايمان الحى يمنع العقل ويمنع الغريزة من الانغلاق على نفسيهما . انه يقترح تفتقا جديدا ، وانفتاحا على معانى الخير والحب . انه يطلب من الغريزة ـ التى تميل بحد ذاتها الى الانانية ـ ان **تخضع لأحكام العدل والحق .**

ان المعرفة المنزلة لا تدعونا الى الله عن طريق ابتعادنا عن العالم وانعزالنا عنه ، بل بالعكس ، **تدعونا** الى هذا العالم وما فيه من **كنوز وثروات ، وما فيه من طاقات وقوى** . ومن هنا كان دور العلم والفلسفة وكانت حاجة الدرجة الاولى والدرجة الأخيرة من درجات الثقافة اليهما .

العلم والفلسفة هما ميدان الفكر الناقد الذى يميز . الذى يبنى ويوجه . الذى يقاوم الغرائز ويقضى على الخرافات .

لولا النشاط العقلى فى ميدانى العلم والفلسفة لانهارت الدنيا على أكتاف الانسان ، وغمرته بالخرافات والمعتقدات المغلوطة ، ولما قامت الحضارات ، ولما **تقدم الانسان فى ميدان العلم والمعرفة .**

ان العقل هو الاداة الوحيدة التى نملكها ، والتى تستطيع أن تجمع بين الوحى والاختبار ، وأن تستفيد من كل منهما . تستفيد من كل ثروات الاختبار اللاواعية ، **ومن خميرة التقدم التى يقترحها الوحى.**

ان الاختبار والوحى ـ كل على حدة ، مضر ما لم يربط العقل بينهما .

والآن الى الاجابة عن هذا السؤال .

ماموقفنا من درجات الثقافة الاربع ؟ وأين نحن من مراحل هذه الثقافة ؟ أو بعبارة أخصر وادق مامستوانا الثقافى ؟

يجيب الاستاذ رينه حبشى عن هذا السؤال فيقول : تبرز فى هذا الرصيد درجتا الثقافة القصويان ، **التجريبية والوحى** . أما التجريبية فكثيفة ، أى تغرق فيها الجماهير . **هى تجريبية متاخرة للغاية** لايدفعها العلم الى الامام منذ عدة قرون وأما الوحى فليست هناك **فلسفات تقدمية تدعمه.**

ان أسباب هذا النقص ونتائجه تاريخية . انها تتعلق بتاريخ بلاد كانت لها قرون وسطى زاهرة . بلاد ورثت التراث اليونانى القديم ، وتمكنت من أن تنقل هذا التراث الى أوربا القرون الوسطى بفضل علمائها وفلاسفتها الذين ظلت مؤلفاتهم **الطبية** والفلسفية واللاهوتية تدرس فى أكبر جامعات الغرب لكنها بلاد عرفت فى العلم وفى الفلسفة امتحانا مميتا .

والاسباب يمكن تركيزها فى ثلاثة :

أولا ـ **محنة الفلسفة .**

ثانيا ـ **المأساة الداخلية فى الفكر العربى .**

ثالثا ـ **الفتح العثمانى ومساوىء الباب العالى .**

هذه هى **المغامرات** التى قادتنا الى حالتنا **الثقافية** الراهنة .

ان التجريبية واللاهوت موجودان يمد الواحد منهما يده للآخر كالغشاء على عينى عقل أضحى عاجزا عن التحكم فى العالم بصفاء وتبصر ، وذلك فى عصر يعود فيه زمام المبادرة ، فى الأحداث الى الطاقة **المتفجرة من العقل .**

من هنا ينشأ مركب النقص الذى اصبحنا نعيه الآن ، والذى نرغب فى التخلص منه بسرعة ـ فى حين انه **ثمرة مرة خلفتها لنا عصور كاملة من التاريخ .**

اننا فى فراغ ثقافى ، ونشعر بالنقص فى ثقافتنا الخاصة بنا ، والتى يجب أن تكون مرتبطة بتطورنا عبر العصور .

اننا نعرف جيدا أن هناك **مجهودات** تبذل للخروج من هذا الواقع ، واننا **بدانا نتخطى هذه المرحلة** ، ولكن الذى نريده أكثر من ذلك بكثير .

اننا نريدها **ثورة ثقافية** ترتفع بنا عن ذلك المستوى الذى وصلت اليه ثقافة الغرب . نريدها **ثقافة انسانية ليست عدوانية .**

ان التفوق العلمى الذى وصل اليه الغرب قد سبب له اختلالا فى توازنه **بسبب انحرافه نحو المادة** . واختلال توازنه يشبه الى حد بعيد **اختلال توازننا فى اختلاف الأسباب .**

انه قد اختل بسبب **تفوقه العلمى** ، ونحن قد **اختل توازننا بسبب تخلفنا العلمى .**

كلمات

عمرنا الثقافى

لنتصور اليوم عربيا وروسيا وأمريكيا وأوربيا .. قد صعدوا معا فى مجرى التاريخ ..

فى المرحلة الاولى .. يجب التخلى عن الروسى ، لانه ولد عام ١٩١٧ او على أكثر تقدير مع البيان الشيوعى عام ١٨٤٨ .

ان روسيا فى هذه الحالة تعتبر الشقيقة الصغرى على الرغم من غناها ونبوغها فى الأعمال . انها على كل حال بالنسبة لنا آخر مولود فى التاريخ .

فى المرحلة التالية .. نترك أمريكا جانبا لأنهـــا وليدة تزاوج بين أوربا والسكان الهنود .

ان أمريكا فى هذه الحال ليست الا الفتى الممتلىء حماسة بالنسبة لسنه ولكنه ـ شقيق صغير بالنسبة لعمره الثقافى .

فى المرحلة الثالثة نتخطى أوربا : لقد سرنا معا مسافة طويلة . فالعصور الوسطى قد قطعناها معا وكذلك قطعنا معا قسما من الحقبـــة اليونانيـــة ـ الرومانية .

وعندما استولى الاسكندر المقدونى على آسيا ومصر وبلاد العجم ـ كانت أوربا لاتزال متوحشة .

انها ثانى أشقائنا .. وقد علمت أمريكا وروسيا السوفيتية بسبب تقدمها الحضارى .

فيما وراء هذه المرحلة نجد أنفسنا وحيدين .. فهانحن بدون الآخرين الذين لم يكونوا بعد سوى وعود يعدها التاريخ .

اننا الشقيق البكر والشقيق البكر يعرف عادة أكثر من الآخرين ثم هو الذى يبذل الكثير فى سبيل اخوته الصغار .

فهل تريدون أن نتخلى عن حق بكوريتنا .. من أجل طعام معلب فى شيكاغو أو من أجل شراب مصدر الينا من بحر قزوين ؟ .

أتريدون أن نكون أطفالا كبارا دون ذاكرة ..

أتريدون ان نكون أطفالا يقبلون اللعب من اليمين أو من اليسار ناسين من هم ؟ .

ان التاريخ يعلمنا ان عندنا ما نمتاز به عن الآخرين عن أولئك الذين ولدوا من تعاونـنـــا مضيفين اليه عبقريتهم الخاصة .

ان عندنا ما يمـــكننا من اختيار ما هو مـــلائم لشخصيتنا .

اننا بما نملك من قيم ـ نملك ما يمكننا من تثقيف كل الحضارات مجتمعة بشرط ايقاظ قيمنا الذاتيـــة النائمة .

ان هذا يتطلب ان نربى من جديد روح التاريخ فينا ، واحترام أمجادنا ، والاقـــلاع عن العيش فى الحاضر فقط ، والاقلاع عن العيش فى الماضى فقط .. ان علينا ان ننضوى فى تلك الفئة التى لاتتنكر لأى شىء فى الحاضر من يمين أو يسار ـ الفئة التى تهتم ببعث عبقريتها ورسالتها العالمية .

***

ان غباوات الثقافتين اللاتينية ـ والانجلوسكسونية وعدم تكيفها بواقعنا لبراهين دالة على القطيعة الثقافية بيننا وبين الغرب .

ان الثقافة اللاتينية قد خلقت أناسا بدون جذور أناســا اتجهت عقولهم نحو كل مكان حتى وان بقوا فى محيطهم ، والثقافة الانجلو سكسونية قد ضاعفت ذوى العمل النفعى الذين تعطل عندهم عمل العقل .. وقد شكل هذا كله ـ استعدادا فى أنفس الكثيرين للمادية .

وان كنت أرى أن الثقافة السوفيتية ليست أحسن عملا فى مجتمعنا من هاتين الثقافتين .

***

ان مسافة شاسعة تفصل بين النظرة الفلســفية والعمل اليومى ـ بحيث يفترض تدخل عناصر وساطة ما بين الفكر والعمل . وهذه العناصر تتكون فى العادة من السياسيين والاقتصاديين الذين لا يمكن أن يحل الفيلسوف محلهم .

. ان التعاون بين الفلسفة والعمل اليــومى أمر ضرورى والتمييز بينهما ضرورى كذلك ـ اذ بدونه لا يؤثر الفكر فى العمل وقد يتطــاول العمـــل على الفكر .

دكتور
محمد احمد خلف الله

الخصائص الفنية للأدب الصوفي

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

عيب الدراسات التي خضع لها الأدب الصوفي ، أو أريد اخضاعه لها انها لم تكن دراسة موضوعية ، بقدر ما كانت ذاتية شخصية ، يغلب عليها التعصب والهوى .. فضلا عن قصورها عن تناول هذا الأدب كله ، والاحاطة به من جميع جهاته ، والنظر اليه في كل الوانه وصوره .

ولعل مرد هذا هو ان الادب الصوفي لم ينظر اليه اول الأمر على اعتبار أنه أدب يراد من دراسته تذوقه ، والتعرف على خصائصه ، ثم وزنه وتقييمه ، ليأخذ المكان المناسب له بين منازل الأدب العربي .

والحق أنه لم ينظر الى شيء من هذا في جميع المحاولات التي قامت لجمع هذا الأدب ، وتحرير نصوصه ، تحليل معانيه ، وتجميع خصائصه .. وانما كانت غاية الجامعين والدراسين معا هي الحصول على وثائق الادانة ، والعثور على أدلة الاتهام فيما يروى عن « شطحات » الصوفية ، وما تحمل هذه الشطحات من مقولات جريئة ، تقتحم حدود العالم العلوي ، وتخوض فيه ، بلا حساب ، ولا تقدير ، ثم تجيء من هذا العالم بتلك الصور التي تحدث عن هذا العالم حديث من يخالطها ، ويعيش معها ، وكأنها من أشياء العالم المادي الذي نعيش فيه . وذلك حديث لم يكن للمجتمع الاسلامي عهد به ولا تفكير فيه ..

وطبيعي أن يكون القدر الذي يجمع من هذا الأدب منظورا اليه من تلك الجهة التي تدين الصوفية والتصوف ، فلا يحرص على جمع شيء منه الا اذا كان فيه مدخل للادانة والاتهام .. وهذا هو الذي حدث فعلا ..

فالذي جمع من الأدب الصوفي ، والذي حرصت الاجيال على تناقله منه هو هذا الشعر الملىء بالالغاز والرموز ، المحمل بآثار كثيرة من التخليط والتخبط والتجديف فاذا وقع في ثنايا هذا الشعر بيت أو أبيات مما يمكن أن يرد الى الشعر السليم المفهوم - كان ذلك عملا غير مقصود ، وربما جاء ذلك عن غفلة ، أو عن تقدير بأن وراء هذا الكلام السليم المفهوم خبايا يعلمها العالمون بأساليب المتصوفة ، وبما تخفى صدورهم من كفر والحاد ! .

ولقد ترتب على هذا الاتجاه في دراسة الأدب الصوفي أمران :

فأولا : انه قد اتجه اهتمام الذين حرصوا على جمع الأدب الصوفي ودراسته - الى الشعر وحده ، اذ كان الشعر وثيقة يقوم في كيانها شاهدان ، هما : الوزن والقافية ، وبهذين الشاهدين يكون الشعر في حراسة قوية - الى حد كبير - من التحريف والتبديل .. وقل أن كان يضبط شاعر متلبسا بشيء من الشعر ، فيه ما يكشف عن مذهبه السياسي ، أو هواه الطائفي ، أو معتقده الديني - ثم يجد سبيلا الى الانكار ، أو المراوغة ، أو المخادعة .. اذ كان بناء البيت قائما على كلمات متماسكة ، متوازنة ، اذا نقض منها حرف تداعى البناء كله ، وانهار ..

وما يروى عن ذلك الشاعر الذي مدح فلم ينل من ممدوحه عطاء ، وما يقال من أنه تلبث بباب ممدوحه قليلا ، فوجد جارية لهذا الممدوح ، اسمها «خالصة» وقد تحلت بحلي ثمينة ، فكتب الشاعر على الباب :

لقد ضاع شعري على بابكم
كما ضاع در على « خالصه »

ثم تمضي الرواية فتقول : ان الممدوح حين علم بهذا البيت بعث بمن يجيء بهذا الشاعر ، فلما جيء به ، مر بيده على بعض ما كتب على الباب .. وحين مثل بين يدي الممدوح سأله عن هذا الشعر الذي كتبه ، فقال : وماذا في هذا الذي كتبت ؟ لقد قلت :

لقد ضاء شعري على بابكم
كما ضاء در على « خالصه »

وكان الشاعر قد عمد الى العين من « ضاع » فمحا أسفلها في الموضعين اللذين وردت فيهما ، فتحولت

العين الى همزة ، واصبح الفعل ضاع « يقرأ » ضاء » ! ٠٠ وبهذا نجا الشاعر من المكروه الذى كان ينتظره ، بل ونال من عطاء ممدوحه ما أرضاه !

فهذا الذى يروى ظاهر فيه أثر الصنعة ، ان لم تكن صنعة مختلق ، فهى صنعة الشاعر نفسه ، الذى دبر هذا الأمر ، وأعد نفسه لاحتمالاته وتوقعاته ! ٠

وسواء صح هذا الفهم الذى فهمناه لهذه القصة أم لم يصح — فان الصوفى يرمى بما يشتعل به شعوره ٠٠ من لهب ، وشرر ، ودخان ٠٠ غير حاسب حسابا ، أو مقدر موقفا ، أو ناظر الى ما يكون !

نقول : ان انظار الناظرين قد وقفت من الأدب الصوفى عند الشعر وحده » دون أن تتجاوزه الى ما للصوفيه من نفثات روحية صافية مشرقة كانت تظهر على السنة كثير منهم ، فى وصاياهم لمريديهم ، كما كانت تتساقط وراء تأملاتهم وسبحاتهم الهادئة، فيما يدعون به ويتوسلون ٠٠ كما أنها كانت تتجلى لهم معان دقيقة مضيئة من كتاب الله ، حين ينظرون فيه فى أحوال الصحو من أحوال الوجد والانتشاء ٠

لم يحسب شىء من هذا فى حساب الأدب الصوفى ، الا ما كان منه متصلا بجمع الأدلة ، واقامة البراهين على انحراف الصوفى ، وادانته ٠٠ كما يروى عن « الحلاج » من تلك الكلمات الجريئة ، التى يقول فيها : « أنا الله » ٠٠ أو « ما فى الجبة الا الله » ٠٠ و « سبحانى سبحانى ٠٠ » ٠٠ ونحوها ٠٠ وهى كلمات قليلة ٠٠ بعيدة كل البعد عن الأدب لفظا ومعنى !

وثانيا : هذا الشعر الذى جمع من أدب المتصوفة — مع أنه لم يمثل الا لونا واحدا من ألوان هذا الأدب ، وهو اللون الذى أشرنا اليه ، ووصفناه — فى مقال سابق — بأنه الدخان الذى ترفعه النار قبل أن تصفو ، أو هو الغثاء الذى يدفعه السيل قبل أن يهدأ ويستقر — هذا الشعر — على ماهو — وعلى مابه — لم ينظر اليه من الجانب الادبى بقدر ما كان ينظر اليه من الناحية الفقهية ٠٠ اذ كان الفقهاء هم « الحكومة » التى تقضى فى هذا الشعر ، وتزنه بميزان الفقه ، وتخضعه لاحكامه وقوانينه ٠٠ دون التفات الى شىء وراء هذا ، مما يتصل بالعمل الأدبى ومقوماته ، وحظ هذا الشعر من تلك المقومات ٠٠

وقد كان لهذين الأمرين نتائج خطيرة ٠٠ فى الناحية الأدبية ، ثم فى الناحية الانسانية ٠٠ فى الأدب العربى ، وفى المجتمع الاسلامى ٠٠

فأما ما يتصل بالأدب — وهو الذى يعنينا بالمقام الأول هنا — فان هذا الأدب قد فهم فهما خاطئا ، فى تلك القطوف القليلة التى جمعت منه ، تحت ظروف وأحوال خاصة ، ولغايات ومآرب مقصودة ٠٠ اذ افترض فيه — سلفا — أنه مئوف بآفة الزندقة ، موسوم بسمة الالحاد والكفر ٠٠ فهو يمثل أمام قضاته منادى عليه بالتجريم والتأثيم قبل أن ينظروا فيه ٠٠ فان كان لقضاته بعد ذلك نظر فيه ، نظروا اليه بذوق الفقيه وحسه ، وهو الذى كان ينبغى الا يذوقه الا أديب ، والا يقضى فى أمره بالادانة أو البراءة الا خبير بالادب بصير بالوانه ، وفنونه ٠

وعلى فرض أن هؤلاء الفقهاء الذين حكموا فى قضية هذا الأدب الصوفى — أعنى غثاء الأدب الصوفى — كانوا على حال من التمام والكمال من الذوق الأدبى ، والبصر بالأدب وفنونه — فان أعينهم لم تكن متجهة الى الصور الجمالية لهذا الأدب ، ولم يكن وجدانهم متفتحا لشىء منه ٠٠ وانما كان همهم العثور فيه على مواقع العثار الذى يقضى به على صاحبه من جهة عقيدته ، والاجتهاد فى اخراجه من حظيرة الاسلام والمسلمين ٠

وأما فيما يتصل بمعطيات هذا الأدب ، فى الجانب العقائدى الذى اهتم له الدارسون لهذا الأدب ٠ فانه لم يحاول أولئك القائمون على الحكومة فيه أن يصلوا بين هذا الشعر الصوفى وبين تلك النفوس التى صدر عنها ، وهذه الأحوال التى تلبس بها ، كما لم يحاولوا أن يصلوا هذا الشعر — لا نقول بنفس قائله ، وما كان يجرى فيها — بل بأدبه الذى جرى على لسانه ، فى غير الصور الشعرية ٠ ٠ اذ أن للشعر أخيلته ، ودوافعه ٠٠ وما قد يجليه الأديب من معنى فى قالب شعرى يتماوج فيه المعنى ،

ويتراقص ، ويبدو خاضعا للكثير من الاحتمالات والتأويلات .. هذا المعنى اذا جاء به الاديب في صورة نثرية انكشفت عنه تلك الظلال الشعرية ، وجمدت بين كلماته تلك التموجات التي قد تعمى على العين ، أو تضلل النظر !

كان من تمام الرأى اذن لكى يكون حكم الفقيه على العمل الادبي مقبولا « شكلا » أن تمتد النظرة ـ نظرة الفقيه ! ـ الى الادب الصوفى كله : شعرا ، ونثرا .. فما قد يخفى فى ظلال الشعر وخيالاته من المعانى ، ربما قام له من الصور النثرية ما يكشف عنه ، ويجلى عن حقيقته ، ويضبط حدوده ، ويقيد شوارده .

ولكن « المحلقين » لم يفعلوا هذا ، ولم يلتفتوا الى ما وراء هذا البيت من الشعر أو ذاك ، مما وقع لايديهم « فحرزوا » عليه ، وجعلوه كله جسم الجريمة ، مقطوعا عما قبله أو بعده من شعر .. بعيدا عن قائله ، وعن أحواله ، وعن السمات الغالبة عليه ـ اللهم الا أن يجر معه الى السجن ، أو يساق الى الموت ان كان حيا ، أو يرمى بالكفر ويرجم باللعنات ان كان ميتا .. موتا طبيعيا ، أو موتا بالنطع والسيف .

نعم .. لقد كان البيت من الشعر الصوفى يقتطع من القصيدة اقتطاعا ، ويتعرى مما بين يديه وما خلفه من أبيات ، قد توضح خافيه ، أو تكشف غامضه .. ثم يساق هكذا الى « قفص » الاتهام ليحكم على قائله بالكفر أو الزندقة ، أو الالحاد ، أو ما شابه ذلك مما يحمله « قانون العقوبات » التى شرعها الفقهاء ، وتلاميذ الفقهاء ، واتباعهم ، ليخرجوا بها من شاءوا من الاسلام وليدينوه قبل أن يدينه الديان

وربما قد يقع فى فهم بعض من انعقدت عقولهم على ما طرق آذانهم من آراء مرددة ، واحكام مطلقة ، تلفظ بها مشيختهم فى ظروف وأحوال ومؤثرات سياسية ، وطائفية ، ومذهبية ، ليدينوا بها خصومهم ، وليزيحوهم من طريقهم ـ قد يقع فى فهم هؤلاء الوارثين لتلك الآراء ، وهذه الاحكام ، اننى أدافع هنا عن الصوفية أو التصوف .. والواقع أن ذلك ليس من همى ، ولا مما التفتت اليه نفسى ، أو هتف به خاطرى ـ فى هذا المقام على أقل تقدير .

فان كان دفاع فهو دفاع عن قضية من قضايا الادب العربى ، وعن فن من فنونه ، بل ومن أجمل فنونه وأروعها ..

ذلك ان الادب الصوفى فى جميع صوره أدب حى ، مشبوب العاطفة ، يقظان المشاعر ، صادق الاحساس .. يحمل كل سمات العمل الفنى الخالص الذى لا يخضع بحال أبدا لدواعى الصنعة والتكلف .

فهو ـ فى الادب العربى ـ الصورة الصحيحة للنفس الانسانية ، فى تجربة من تجارب الحياة ، وفى بيئة من بيئاتها ، وفى حياة من حيواتها .. وانه لا يدانى هذا الادب أدب آخر فى صدق حديثه عن نفس صاحبه ، وفى دقة تصويره لمسارب تفكيره ، وخلجات مشاعره ، وومضات روحه .

فنحن ـ اذن ـ انما ندافع عن هذا العمل الادبى الذى لم ينظر اليه الى اليوم الا من خلال تلك التهم ، التى سودت بها صحف المتصوفة ، واسود بها وجه التصوف . فانه لايكاد ينظر ناظر الى هذا الادب حتى تطلع عليه تلك الوجوه المنكرة ، وتقف له بكل طريق يصله بهذا الادب .. فلا يراه الا ألغازا ومعميات وأحاجى ، ولا تتبدى له من خلاله الا مخلوقات شائهة ، والا امساخ مخلقة من متناقضات .. تجمع بين الاضداد .. فلا يكون بينها الا التنافر والخصام ، واذا هى أشبه بهذا الوجه الذى رسمه « بشار » لتلك العلل المفضوحة التى يتعلل بها البخيل ، ويقدمها فى مقام الدفاع عن بخله :

وللبخيل على أمواله علل
زرق العيون عليها أوجه سود

هذه هى الوجوه التى تتمثل للناظرين فى الادب الصوفى من خلال تلك الاحاسيس التى دفعت به الى الحياة ، والتى وقعت فى صدور الناس للصوفية والتصوف ، وعاشت فى أجيال المجتمع الاسلامى يتوارثها الخلف عن السلف !

فهل ذلك هو الادب الصوفى ؟ وأتلك هى حقيقته ؟

والجواب على هذا ـ ايجابا أو سلبا ـ يتوقف على الجهة التى تنظر الى هذا الادب ، وتقضى فيه بحكمها . وان هذا الادب ليتقبل الحكم راضيا مطمئنا اذا هو صدر من جهة محايدة ، معترف بها فى نقد الكلام ، وتذوق ألوانه وطعومه ، والتهدى الى مواقع الجمال والحسن فيه .

عبد الكريم الخطيب

بين الفن والاحتراف

للأستاذ رجاء النقاش

كان الفنان فى الماضى اذا اراد أن يكسب شيئا عن طريق الفن ، وجد من يقول له : عيب كل شىء له ثمن الا الفن ، لان الفن فوق المادة ، انه مجرد هواية تمارسها مجانا .. ولذلك مات البعض مشلولا ، ومات البعض جوعا ، وعاش البعض حياة تعيسة يضرب بها المثل فى البؤس والحرمان . واليوم مازلنا نسمع بعض الذين يقولون للفنان : احذر الاحتراف فالاحتراف انحراف !

فما هى حقيقة هذه الاصوات ولماذا تتكلم ؟

لقد دعتنا مؤسسة المسرح منذ شهر تقريبا الى الاسكندرية لحضور افتتاح فرقة مسرحية جديدة ، تتكون من أبناء الاسكندرية . وعندما اسدل الستار فى الحفلة الختامية التى قدمتها فرقة الاسكندرية الجديدة .. وقف المخرج المعروف كمال ياسين ، وخاطب ممثلى الفرقة الناشئين الذين أثبتوا أصالتهم وفنهم قائلا : اياكم أن تحترفوا .. يجب أن تحافظوا على اخلاصكم للفن بالبعد عن الاحتراف !

فلماذا أراد كمال ياسين أن يحرم أعضاء الفرقة الجديدة الممتازة من حقهم فى التفرغ للفن واحترافه .

لست أشك فى أن كمال ياسين كان حسن النية ولكننى أعتقد أن هذا الرأى ينطوى على خطأ بل خطر كبير ، ويجب أن نناقشه بصراحة ، خاصة وانه ليس رأى كمال ياسين وحده ، ولكنه رأى يتردد على ألسنة الكثيرين ، فالاحتراف فى نظر أصحاب هذا الرأى يؤدى الى عدم الاخلاص ، والى سرعة الانتاج ، ويفقد الفنان كل ماعنده من حماس .

***

ان المحترف بهذا المعنى مجرد انسان يعمل من باب الواجب فقط ، مثل الموظف الروتينى الذى تحفى أقدامه لكى يصل الى العمل ثم تنتهى المسألة بعد ذلك لان (الترقية) سوف تأتى بالدور .. فلماذا التعب والاجتهاد ؟

ولقد كان هذا المعنى السيىء للاحتراف - فى الفن وفى غير الفن - صحيحا فى الماضى ، ولا شك أننا ورثنا هذا المعنى السيىء من المجتمع القديم ، فالاحتراف معناه أن يتحول الفنان الى موظف ، وصورة الموظف فى أذهاننا صورة كئيبة سيئة .. ولكننا - قبل أن نتحدث عن الاحتراف فى الفن - يجب أن نسأل ، من أين جاءتنا هذه الفكرة السيئة المنحرفة عن الوظيفة والموظفين ؟ وهى الفكرة التى تجعلنا نخاف من أن نجعل الفنان محترفا أو موظفا فى الدولة ؟

لقد جاءتنا هذه الفكرة دون شك من ماض تعس كان كل انسان فى بلادنا يشعر فيه بأن بينه وبين الدولة نوعا من الثأر ، ان الدولة تستغله وتعتصره ، ولا تقدم اليه الا أشياء تافهة ، صغيرة القيمة ، لقد كانت حياة الموظفين المصريين مأساة مليئة بالصور والنماذج المؤلمة ، وأذكر صورة قريبة منى شخصيا هى أن أبى وهو موظف بسيط ، قد قضى فى درجة واحدة مدة ربع قرن تقريبا ، ولم تتحرك هذه الدرجة أو تتغير أبدا الا بعد سنة ١٩٥٢ ، وأمثال أبى آلاف وآلاف من الموظفين البسطاء الذين بذلوا دم قلبهم على الدولة ولم يأخذوا شيئا .

***

ولن ننسى الصور التى رسمها لنا نجيب محفوظ فى رواياته عن الموظفين ، حيث استطاع ان يسجل بعمق ومرارة صورا لهذه النماذج المطحونة من الموظفين الذين توقفت بهم الحياة فلم يتحركوا خطوة الى الامام وانسحقت - فى نظام الوظيفة - كل آمالهم وأحلامهم كما استطاع أن يحفر فى أذهاننا صورة لاتنسى للموظف الذى يتقدم فى عمله بطريقة غير طبيعية مثل بطل رواية (القاهرة الجديدة) حيث دفع شرف زوجته ثمنا للتقدم فى الوظيفة ، حتى استطاع بهذا الثمن أن يصبح موظفا كبيرا مرموقا . كذلك استطاع بطل (السمان والخريف) أن يصل الى منصبه الكبير عن طريق خدماته الحزبية ، لاعن طريق كفاءته وحاجة الدولة اليه .

***

هذه هى صورة الدولة فى مصر بعد أن رفع الانجليز يدهم عنها ، أما قبل ذلك ، فقد كانت الدولة مكونة من الاجانب - فى معظمها - كان الانجليزى أفضل من الأرمنى وكان الأرمنى أفضل من أى مواطن مصرى كان المصريون فى ذيل القائمة : أقل الناس شأنا وقيمة فى نظام الدولة وحتى فى الاعمال البسيطة مثل

أعمال الخدمة فى المحلات العـــامة ٠٠ كانت معظم الاعمال قاصرة على الاجانب أيضا ٠

من هنا نشأ معنى الاحتراف ، فاصبح احتراف الشيء معناه امتهانه ووضعه فى موضع سيىء منحط لان الاحتراف يجعل الانسان موظفا تحت رحمة الدولة وهى دولة لا تؤمن بالنـــاس فكيف يمكن أن تدافع عنهم ، وتفتح أمامهم الفرص ؟ فهل كان بالامكان فى ظل هذه الفكرة أن يصبح احتراف الفن شيئا مرغوبا فيه ، هل كان بالامكان ان يتحول الفنان الى موظف فى مثل هذه الدولة ؟٠٠ بالطبع كان ذلك شيئا صعبا٠

***

اما الآن ونحن نعيش فى ظل ثورة اشـــتراكية حقيقية ، فلماذا نخاف من الاحتراف ولماذا تدعوا الى الهروب منه ، ان من واجبنا على العكس ان نعمل على تصحيح الافكار الخاطئة عن كل شيء : عن العمل ، عن الاخلاق ، عن الفن ، عن الدولة ٠ ومن بين هـذه الافكار الخاطئة تلك الفكرة التى تقول : ان احتراف الفن يقلل من قيمة الفنان وفنه٠ فالحقيقة أن احتراف الفن فى دولة اشتراكية تقوم على أسس سليمة ــ هو الطريق الصحيح الى التفوق فيه ، ثم خلق فن رفيع سليم ، انه الطريق الى أن يتفرغ الفنان لفنه ، أن يحاول اجادته ومعرفة أصوله الصحيحة ٠

***

يجب أن نتخلى عن الافكار الغريبة الشاذة حول الفن ، والتى لقنها لنا ناس لايريدون لنا فنا عظيما ولا يريدون للانسان عندنا أن يرتفع عن الارض ، ومن هذه الافكار أن الفن لايولد الا فى ظل العذاب ، وفى ظل «البهدلة» والألم ٠٠ هذا كلام فارغ ٠ لان العذاب و «البهدلة» والجوع كلها عوامل معطلة للفنان عوامـــل تقلل من قدرته على الابداع العظيم ، فاذا استطاع الفنان أن يبدع مع الجوع والضياع ، فمعنى ذلك انه أنتج رغم الجوع والضياع ، ولم يكن انتاجه ابدا ــ كما يحاول البعض ان يضحك علينا ــ بسبب الجوع والضياع ؛ ان الانســـان لا يفكر وهو جائع ٠ وتاريخ الفن يؤكد أن معظم الفنانين قد ابدعوا أعمالهم الكبرى فى ظروف تســـاعدهم على ذلك ٠ والذين تعرضوا لظروف معاكسة عجزوا عن تقديم كل ما بامكانهم ٠٠ لقد قدموا فقط بعض مايستطيعون ٠

والفنان الآن فى ظل الثورة الاشتراكية ليس دمية حقيرة ، انما هو ثروة عظيمة ، ذلك لأن الاشتراكية الحقيقية ليست هى أن يعمل الناس طول النهار والليل لا يعرفون متعة الروح ولا متعة القلب٠٠ كلا٠٠ بل ان الشعب الذى يبنى السد ، ويقوم بعشرات المشروعات الصعبة ، ويحارب فى كل معركة من معارك الحرية والتقدم ٠٠ مثل هذا الشعب الذى يضنى نفسه ، ويحمل أصعب المسئوليات يجب أن يستمتع أبناؤه بالفنون ، ويسعدوا بما فيها من جمال ٠٠ يجب أن يقرءوا الأدب الرفيع ، ويسمعوا الألحان الجميلة ، والأغنيات الحلوة ، ويجب أن يكون عندهم مع كل مشروع كبير مسرح كبير ومكتبة كبيرة وناد للموسيقى والرسم ، فالفن العظيم مثل الخبز ٠٠ يجب ان يكون فى متناول أبناء الشعب ٠٠

***

ولذلك كان من الواجب أن نرعى الفنان ونعطيه كل حقوقه الكاملة دون أى نقص ، لانه يقدم الينا وقودا حقيقيا لحياتنا المعنوية ٠ ولذلك ايضا يجب أن يتفرغ أعضاء فرقة الاسكندرية بعد أن أثبتوا انهم موهوبون من الدرجة الاولى ، وانهم يكونون فرقـة ممتازة تملك الاخلاص والعمق والفهم ٠ اننى لا أعرف اسما واحدا من أسمائهم ولكننى أعتقد ــ مع ذلك ــ أن عددا كبيرا منهم يتمتع بدرجة عالية من الموهبة ٠ ولو كنت فى مكان المسئولين عن هذه الفرقة لقمت على الفور باتاحة الفرصة أمام الفرقة للتفرغ بشرط أن تبقى فى الاسكندرية ، فلا داعى لان تترك هذه المدينة ، فبقاء الفرقة هناك سوف يعطى المدينة من الجاذبية والسمعة بل والكسب المـادى ، أضعاف مايمكن أن تخسره الاسكندرية بتخلى أعضاء الفرقة عن وظائفهم فى البنوك والمستشفيات وما الى ذلك ، انها ستكون فرقة ناجحة تكسب الذهب معنويا وماديا للاسكندرية ٠

***

ان مانحن بحاجة اليه ليس هو عدم الاحتراف فى الفن ، ولكن هو عدم المجاملة وعدم ادخال الاغراض الشخصية فى أى شيء بحيث لانسمح فى مثل هذه الفرقة أن تدخل عناصر لاتتمتع بالكفاءة الفنية لسبب أو لآخر ٠ يجب أن نختار الفنان الموهوب ونعطيـه الفرصة كاملة ٠ لكى (يحترف) العمل فى الميدان الفنى ٠٠ مادام قادرا عليه ٠

"الصفحة الفنية" من حياة الامام مالك

للأستاذ محمود الشرقاوي

كلنا يعرف الامام مالكا : الفقيه الكبير صاحب المذهب ، الذى قصده طلاب الفقه والحديث من مصر والمغرب والعراق والاندلس ، والذى الف فى الفقه كتابا من اعظم ما الف العلماء : «كتاب الموطأ» ، والذى قدم اليه من الاندلس يحيى بن يحيى الفقيه واقام سنة يأخذ عنه ، وعندما فرغ من سماعه والتلقى عليه قال : انما قدمت مستفيدا من خلقه ، طالبا لشمائله التى هى شمائل الصحابة والتابعين

فهذا حديث لا نريد أن نعيده ، فهو معروف .

حديثنا اليوم عن صورتين من حياة الامام مالك ، او صفحتين من سيرته نريد أن نمر عليهما بكلمة قصيرة ولكنها ضرورية ، والتذكير بها مفيد لحياتنا الفكرية والدينية الآن بل فى كل زمان ومكان ولو انها الآن الزم ضرورة واكثر افادة . وعن صورة ثالثة من حياته ، او صفحة أخرى من سيرته نتحدث عنها بعد ذلك بشىء من التفصيل .

١ – الصورة الأولى تتضمن درسا يجب أن يعيه رجال الفكر الدينى فى بلادنا العربية كلها : اولئك الذين يقولون : هذا حكم الله ، وهذا حرمه الله ، او أحله الله . ومن الخير لهم ولشريعة الاسلام ان يتريثوا وان يجزعوا من هذا الحكم القاطع الجازم وأن يقتصدوا فى القول فيقولوا : هذا ما نفهم من شريعة الله ، او هذا ما نرى انه حكم الله . كان الامام مالك لا يجترىء أن يقول هذا حرام وهذا حلال .

يقول مالك : « لم يكن من امر الناس ولا من مضى من سلفنا ولا أدركت أحدا اقتدى به يقول فى شىء : هذا حلال وهذا حرام . ما كانوا يجترئون على ذلك ، وانما كانوا يقولون : نكره كذا ونرى هذا حسنا » .

ولعل هذه الحيطة الامينة وهذا الحذر الكريم هما اللذان جعلا مالكا يأبى ان يلزم العلماء والناس برأيه وفقهه ومذهبه الذى بسطه فى الموطأ .

****

(بقية الفن والاحتراف)

ان الاحتراف ليس عارا ولا جريمة ، ولكنه حق مادامت الدولة للشعب .. وما دام الاساس الاكبر للمجتمع الاشتراكى هو اتاحة الفرصة للجميع حسب كفاءتهم ومواهبهم ويكفى أن استنكار احتراف الفن فى الماضى أدى الى نتائج فاجعة ؛ فقد عاش الكثير من الفنانين حياة بائسة نتيجة عدم الاحتراف فى مجتمعنا القديم . فعبد الرحمن شكرى ظل مشلولا عشرين سنة لانه ذاق المر فى وظيفته الحكومية ولم يكسب من أدبه مليما . وانتحر عدد من الفنانين فى مطلع حياتهم لاسباب عديدة على رأسها : ضيقهم بنظرة المجتمع الى الفن . واذكر من هؤلاء الفنانين اسمين ليسا معروفين فى حياتنا الادبية اليوم ، ولكنهما كانا معروفين قبل الحرب الثانية هما : احمد العاصى وفخرى ابو السعود . وتوقف فنانون آخرون عن الكتابة مثل عادل كامل وكان الشاعر عبدالحميد الديب «مسخرة» الحياة العامة والحياة الادبية لانه لم يكن يعرف غير كتابة الشعر ، وكانت هذه الموهبة كفيلة بأن تضمن له الحياة السعيدة فى مجتمع سليم ، ولكن المجتمع الأدبى القديم لم يسمح له بأن يكسب قوته من فنه وجعل منه دمية منحطة لعب بها أصحاب النفوذ والسلطة وتندروا عليها وكانوا لا يقدمون اليه الطعام الا اذا أضحكهم ، حتى انتهى به الامر الى أن مات من التعب بعد أن صار مثالا للحياة القذرة البائسة ، وأصبحت قصة حياته مثالا للبؤس الذى لا حد له .

فهل يريد الذين ينادون بعدم الاحتراف فى الفن أن ينتهى الفنان فى مجتمعنا الاشتراكى الى مثل هذا المصير التعس ؟ .

هل يريدون للفنان ان يكون مثل عبد الحميد الديب : مادة لسخرية المتعطلين والفارغين فى آخر الليل بعد أن يأكلوا ويشبعوا ؟ انها نظرية ظالمة خاطئة ، يجب أن نتحرر منها ونرفضها . فالفن فى المجتمع الاشتراكى عمل شريف من أصل شريف يقوم على أفضل الامكانيات فى الانسان .

رجاء النقاش

فقد أراد المنصور ، وأراد الرشيد من بعـده ، أن يحمل الناس قهرا على أن يلتزموا ما دونه مالك في الموطأ ، والا تكون الفتيا بغير ما قال فيه ، فأبى مالك عليهما ذلك .

وقد ذكر هذه القصة ومحاورة المنصور والرشيد معه في ذلك ابن سعد في « الطبقات » ، وابن قتيبة في « الامامة والسياسة » .

٢ ـ وبعض هذاالدرس الذى يجب أن يعيه القوم من رجال الفكر الدينى هذه القصـة عن تسامح مالك وسعة أفقه وتحرجه من « التكفير » حتى بسبب المزعج الفظيع من الرأى والقول ، حتى فى المعتقدات .

كان يقول ان المرجئة اخطئوا خطأ عظيما حين زعموا أن من احرق الكعبة أو صنع كل شيء لايخرج من الاسلام . ولما سئل عن رأيه فيهم تلا قول الله تعالى : « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين » .

هاتان هما الصورتان ، أو الصفحتان ، اللتان تريد أن نمر بهما اليوم فى كلمة قصيرة . أما الصورة، أو الصفحة الثالثة من سيرته ، فهى ما نستطيع أن نسميه ، بلغة العصر ، « حياته الفنية » .

٣ ـ ونحن الصحفيين قد وضعنا فى العصر الحديث مصطلح : « الصفحة الفنية » التى تتحدث عن المسرح والغنـاء وما جـرى مجراهما . وهـذا الاصطلاح نتخذ منه عنوانا لبقية الحديث عن « مالك الفنان » صـاحب الحاسـة الفنية والملكة الطبيعية والتعليمية فى الغناء .

فى تاريخ الامام مالك أنه تعلم الفقـه والحديث ونقده على كبار الشيوخ والمحدثين ونقدة الحديث . ولكن أول شيء بدأ بتعلمه كان هو « الغنـاء » . وكانت فى الحجاز مدارس كثيرة ومذاهب يختلف فيها الناس ويتجادلون . وأحست أم مالك ميل ابنها للغناء ، وتعلمه فصرفته عن ذلك قائلة له : ان المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه ، فدع الغناء واطلب الفقه فكان من ذلك ، كما قال هو تحوله الى الفقـه ، ولـكنه بقى على حبـه للغنـاء وممارسته فى بعض الاوقات .

ونلاحظ هنا ان أم مالك لم تعب اشتغال ولدها بالغناء ولم تستنقص تعلمه ولا الاشتغال به ، لا من ناحية الدين ولا من ناحية المجتمع . بل ارادت مالكا على أن ينصرف عنه « حرصا على مستقبله » كما تقول فى لغة عصرنا .

مالك معلم غناء وناقد :

وفى تاريخه انه لم يتعلم ، فقط ، الغناء وانه كان أول شيء تعلمه ، بل انه كان أيضا نقادة للغناء وأستاذا معلما يعلمه غيره :

فى تاريخه ان سائرا فى الطريق ، وقت الظهيرة، كان يغنى بيتا من الشعر يقول :

ما بـال اهلك يا رباب
خـزرا كأنهـم غضـاب

وسـمعه مـالك فاطل عليه من « خوخة » بابه صائحا : يا فاسق ، أسأت الاداء ومنعت القائلة ـ أى أزعجت الناس وقت راحتهم وقيلولتهم وأشـعت الفاحشـة . ثم اخذ مالك يغنى فظن عابر الطريق انه « طويس » أبرع المغنين واعظمهم فى عصره ، فسـأل مالكا : من أين لك هـذا الغنـاء الجيد البارع .. ؟ فأخبره مالك خبر تعلمه الغناء وهو صغير وطلب السائر اليه ان يعيد الغناء الذى غناه ، فأجابه مالك جوابا لبقا ظريفا يقول : لا والله تريد أن تحفظه وترويه وتغنيه فتقول : أخذت هذا الغناء عن مالك بن أنس .. !

وصاحب هذه القصـة هو حسين بن دهمـان الاشقر ، المغنى وفى تاريخ مالك وملكته الفنالية وشغفه بالغناء انه حضر عرسا بالمدينة وقام بالغناء فيه . غنى شعرا لابن اذينة يقول :

سليمى أجمعت بينـا
فأين نقولها أينـا
وقـد قالت لأتراب
لهـا زهـر تلاقينـا
تعـالين فقـد طاب
لنا العيش ، تعالينا
وغاب البرم الليـ
ـلة والعين فلاعينـا
فاقبلن اليهـا مـ
ـسرعات يتهادينا ...

الى مثل مهاة الر
مل تكسو المجلس الزينا
غنين متاهن
فكنا ما تمنينا ...

***

ومرة أخرى نقول هذا الشعر الذى نستطيع أن تصفه ، باصطلاح عصرنا ، بانه غزل حار والذى يقول : ان أتراب الحسناء اللواتى هن زهر مثلها تنادين وتداعين ثم تمنين المنى فكان صاحبنا الشاعر هو منى قلوبهن .

هذا الشعر غناه الامام مالك فى عرس !

ومن خبر مالك فى ذلك أنه كان يسير مرة مع ابن أخته : «ابن أبى اويس» اذ رأى جارية تسير تحمل على رأسها جرة ماء وهى تغنى وتقول :

***

ليتنى ارض لسلمى
فتطانى قدماها
ليتنى درع لسلمى
ترتدينى من وراها
ليتنى خادم سلمى
قاعد حيث أراها

فقال مالك لرفيقه : هذا الذى يغنى رجل أم جارية فأجابه : هى «غزال» خادم بنى عمارة . فقال مالك انها لفصيحة اللهجة حسنة الغناء .

وهذا الشعر الذى أعجب به مالك قبل اثنى عشر قرنا نسمع الآن مثله ونعجب به من غناء « فريد الاطرش» الذى يقول بعد نقله من العربية الى العامية:
ياريتنى طير لأطير حواليك
مطرح ما تروح عيونى عليك
يا ريتنى منديل بعبك
. . . . . .

***

الخ .. بل هذا الغناء الذى أثنى عليه الامام مالك أكثر امعانا فى الترضى – أو التذلل – من هذا الذى نسمعه من فريد الاطرش ، فالادراك الفنى عند مالك لايزال ، فى موازين العصر ، ادراكا سليما « عصريا » .

لو غنى حول الكعبة لجاز !..

ومن خبر مالك فى ذلك ايضا انه مر فى المدينة فسمع «مغنية» تغنى هذا الشعر الجميل البديع :
انت أختى ، وانت حرمة جارى
وحقيق على حفظ الجوار
انا للجار – ما تغيب عنى
حافظ للمغيب فى الاسرار
ما ابالى ، أكان للباب ستر
مسبل ، أم بقى بغير ستار

***

فكان اعجابه بهذا الشعر وغنائه عظيما حتى قال : لو غنى بهذا حول الكعبة لجاز .

ولاشك فى أن هذه الأبيات التى اعجبت مالكا قد جمعت بين الشعر الجيد المحكم السهل ، وبين الدعوة لمكارم الاخلاق التى تتمثل فى حرمة الجوار والحفاظ على شرفه . وانها مثل كريم للخلق والمروءة والعفة . ولكن بقى أن مالكا أعجبه غناؤها أيضا حتى جوز أن يغنيها المغنون حول الكعبة .. وبقى ان مالكا أثنى على الغناء وأجازه حول الكعبة مع أن الصوت الذى غناه كان صوت امرأة لارجل .. ومع ذلك كله نجد اماما هو يحيى بن يحيى يقيم سنة ليتلقى شمائل مالك «التى هى شمائل الصحابة» .

***

وعندما نستحضر ماكانت عليه احوال المجتمع المدنى الذى عاصره مالك وعاش فيه : (٩٣–١٧٩هـ) لانجد فى أخباره هذه ، ولا فى غيرها مما سجله مؤرخوه ومؤرخو عصره ، شيئا غريبا . وقد تحدث المؤرخون عن الخليفة العادل : «عمر بن عبد العزيز» بمثل هذا الذى تحدثوا به عن مالك وشغفه بالغناء ودرايته فيه ، حتى عد كلاهما : عمر ومالك من طبقات المغنين .

وليست هذه الاخبار ، وغيرها مما تركناه اكتفاء بهذه الأمثلة ، هى كل ما نجد فى تاريخ « الصفحة الفنية» من حياة الامام مالك . بل نجد أنه اقام فى بيت كانت مرسومة عليه صورة . ويبدو من بعض

الاخبار أنها كانت مرسومة على الجدار • وذكروا ان هذه الدار كان يسكنها قبله الصحابى الجليل عبد الله ابن مسعود ، وكانت مملوكة له •

* * *

ذكرت وانا اكتب هذا المقال قصة أريد أن اجعل لها عبرة وأستنبط منها دلالة •

ذلك أن بعض الذين لايعرفون شريعـة الله أو يحفظون منها لونا واحدا معينا فى كتبها ، والذين يسارعون الى القول بالمنع والسلبية ، هؤلاء ، وهؤلاء يحرمون على الناس «زينة الله التى أخرج لعباده» ومنها الغناء والتصوير وكل فن جميل •

***

تحدث عالم كبير كان شيخا للازهر فقال ان نشاط الدعوة للتعريف بالاسلام يجب أن يتجه للشعوب البدائية فى افريقيا • والا يتجه الى الشعوب المتحضرة وتلقف خصوم الاسلام وكارهوه ، وبخاصة الصهيونية فى أمريكا ، هـذه الكلمة من العـالم الكبير شيخ الازهر ليقولوا على كل لسان وفى كل مكان ، ان الاسلام ، بشهادة شيخـه دين بدائى لا يصلح لغير البدائيين ، وانه يحرم الغناء والموسيقى والتصوير والنحت وكل فن جميل لايستطيع المتمـدينون أن يعيشوا حياتهم بدونه •

ولو أن القوم ، ومنهم العالم الكبير شيخ الازهر ، استوعبوا الصـورة المتكاملة لشريعة الاسـلام ، واستشرفوا أبعادها وتأملوا مثل هذه «الصفحة الفنية» من حياة الامام مالك وغيره لجنبوا شريعة الاسـلام قيلة البهتان والزور ، التى الصقت به • ولما استطاع كاره او خصيم أن يقول عن الاسلام انه دين البدائيين او ــ كما قالوا ــ ريح الصحراء •

محمود الشرقاوى

الثلاثاء القادم .. وكل ثلاثاء

اقرأ فى مجلة الثقافة

● موقف قوى الايمان	محمد فريد أبو حديد
● الطبقات بين البقاء والالغاء والاذابة	د • راشد البراوى
● مؤرخو اليونان	د • محمد صقر خفاجه
● الشعر ونقده	د • محمد النويهى
● حذار من تطبيق مقاييس النقد الغربى	د • عز الدين اسماعيل
● هذه النفس البشرية	د • منيره حلمى
● لقاء مع أونيل	عبد الفتاح جوهرى
● اثر معركة بورسعيد فى القصة السودانية	خضر الطيب الشاطرابى
● بفاشه (قصة)	عليه رياض
● عندما يحب الشاعر (قصيدة)	جليلة رضا
● قصة الفيتامينات	د • عبدالمحسن العبادى
● التاليف المسرحى بين الموهبة والدراسة	زهيد طه البيومى

متحف الكون

للأستاذ على الجندى

« وكأين من آية فى السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون »

« قرآن كريم »

تباركت يا من افضت الجمال على الكون : مبداه والمحضر
ونزهت عن أن تحيط العقول بمــرأى – لذاتك – او مخبر
تجليت فى آيك المبصرات وحجبت عن مقلة المبصر
رأيتك فى سبحات الهلال يضىء على غـرة الأشـهر
وفى مشرق الشمس من خدرها وفى صفحة القمر الأزهر
وفى لمعة النجم عند الطلوع وفى لمحــة الدر والجوهر
وفى ومضة البرق ساط السحاب وفى وقدة الشفق الأحمر
وفى زخرة البحر طامى العباب وفى درة العـارض الممطر
وفى الليـل يسجو بأرواقه وفى جلوة الليـلة المقمر
وفى النار ، فى النور ، فى لفحة الهواجر ، فى نفحة الصرصر
وفى نبضة القلب خلف الضلوع الى أمد – دوننا – مضمر
وفى البذر تفلق منه النواة فيزفر بالمـارج المسعر
وفى نغم المسمعات الشجى وفى خفقة النـاى والمزهر
وفى سجعة الورق فى صـدحة البلابل ، فى هتفة القبر
وفى غيد الجيـد من شـادن وفى لفتة الرشا الأحور
وفى هيف القد من دمية وفى نسق الثغر من جؤذر
وفى الورد يزهو على وجنتى كعـاب تمت الى عبقر
وفى بسمة الطفل فوق المهاد ترف علـى ثغره النير
وفى ألق الزهر ، فى عطره وفى نفحـة المسك والعنبر
وفى كل « فينوس » مجبولة من العطر ، قدت من المرمر
وفى كـل نبت غريض الجنى تبلج من تربه الأعفـر
ومن يمترى فيك ؟ من يمترى وصنعك يـدمغ من يمترى
تباركت يا من افضت الجمال على الكون : مبداه والمحضر
واسـكنتنى جنـة المشرقين سنى المكانة فى معشرى
هزارا يغنى أرق اللحـون على شاطىء نيلهـا الأسمر
ولم يجر ماء ، ولكن جرى اليـه الرحيق من الكوثر
نعم ، واغنى لروح الجمال نقى السـريرة والمئزر
تبـاركت يامن أفضت الجمال على الكون مبداه والمحضر
شـعرت فغنيت يا خـالقى ولولا جمالك لم أشـعر

على الجندى

أصابعُ يدٍ واحدةٍ ...!

للأستاذ محمد الجبار

صعودا .. فان ذرا الميعاد .. تقترب
« قسيون » راياته الزيتون . . فى يده
وفوق بغداد نجم ثالث .. خفقت
فى الفجر كم سافرت روحى ... بأغنية
كأننى من بلادى نسمة رحلت
« قسيون » ياقبضة للارض ترفعها
ماجف فيك الشذى .. كلا .. ولا انطفأت
كاد الربيع هنا ينساك مغتربا
ظنوا انفصالية للشر قد حكمت
خرير نيل الذى غنى به بردى
عجبت للارض تطوى فى جوانحها
قد عدت يابردى .. فاسكب على ظمئى
ملأت من نيلنا قنينة .. حملت
ضم الفرات ذراع النيل فى وله
يافا .. استفاقت شذاها كل امسية
وحين تبكى نواعير الشام أسى
يا روح تموز من ينسى مواكبنا
ونحن قبضة اعصار .. تبددهم
دماؤنا غسلت للقدس وشم أسى
لا تنبتى ياكروما فى ذرا صفد
انى لأعجب يا أرضى .. وفيك لنا
ياصاحبى ... ودمى فى الارض تعرفه
انا كتبنا سطورا ... بالدماء ... هنا
أخى ببغداد ... أو بالشام .. مد الى
ووحدة النور للابصار تجمعها
ووحدة اللغة الفصحى وشائجنا
يا دولة ... وحدود الضوء تحرسها
غدا .. سالقى قصيدى فى شواطئكم
ترحب الارض بى أنى أسير بها
هذى الوجوه ترى من أين قد سطعت
ثلاثة من حروف لاسم دولتنا

صعودا .. ولا تخش شيئا .. اننا عرب
ونحن أعراسنا ... راياتها الشهب
دقاته بالذى فى أنجمى يجب
تشدنى فى رحيل بالشذى .. حلب
بكل أنفاس أهليها .. اذا اغتربوا
الى غد ما طوته فى المدى الحجب
ورودك البيض .. أو ماتت بك الرطب
الى الخريف .. ويذوى كرمك العطب
هيهات فالشعب بركان له غضب
يذوب فى دجلة .. لحنا .. ويشرب
سر الحياة .. ويغنى اهلها السغب
نشيدك الحلو .. يشدو فى فمى الادب
ذوب الصباح على كفيك تنسكب
على ذراعك .. حتى هزنى الطرب
فالعطر عن روضة .. فى الريح يغترب
أصغى لساقيتى ... فى الليل .. تنتحب
ورهط أعدائنا ولى بهم هرب
بمنجل النار للأعداء ... نحتطب
لكنها لم تزل بالوشم تكتئب
الا اذا فر منها كل من نهبوا
كل المرارات ... هل يحلو هنا القصب ؟
دماك ... والجرح عين منك تنسكب
حروفها اننا ... فى أرضنا .. عرب
يدى يديك ... فضوء الشمس لى نسب
ووحدة الارض فى أعماقنا أرب
ووحدة الهدف السامى لنا .. سبب
ما دومت بالشجى فى أفقك السحب
وتستضيف نشيدى ... تلكم الرحب
كأن خطوى بها نبض لها يثب
فيها ملامح أرضى ... بالشذى تهب
انا لنزهى بها عن كل ما كتبوا

محمد الجبار

في مهرجان الشعر الخامس
شواعر المهرجان
للأستاذ العوضي الوكيل

- ٢ -

في أجواء المهرجان ، وفي كل ليـاليه ، انبعثت أنغام حالمة كانت تختتم بها حصة الشعر في كل ليلة من تلك الليـالي ، لتبدأ بعد ذلك حصة الموسيقى والغناء .

وكان المشرفين على المهرجان رأوا أن يكون صوت الشواعر حالما رقيقا هو خير برزخ يصل أو يفصل بين أصوات الشعراء من الرجال ـ وبعضها منكر أجش ـ وبين الموسيقى والغناء .

وفي العدد الماضي من الرسالة قلنـا ان الشعر النسوى الصادق الصحيح قد اثبت وجوده في هذا المهرجان بصورة واضحة ، وأضحت هذه حقيقة من الحقائق الادبية التي أسفر عنها قيام المهرجان .

وقد اشترك في المهرجان تسع شـواعر ، منهن واحدة فازت في المسابقة التي يجريهـا المجلس كل سنة لشعراء الشباب ، وهي بقصيدتها الفائزة تطل بوجهها لاول مرة على المجتمع الادبي ، أما البواقي فقد سمع النـاس لهن من قبل أشعارا في مناسبات شتى ، وفي غـير مناسبات ، وقرأ الناس لبعضهن دواوين من الشعر .

والشاعرة الفـائزة هي سميرة ابراهيم زيدان ، وعنوان قصيدتهـا هو « يا دولة العرب » وهي في خمسة وأربعين بيتا . وقد تنبأ العقـاد للشاعرة بمستقبل في الشعر طيب ، والامر كذلك في رأينا ، لان قصيدتهـا تثبت ـ أول ما تثبت ـ قدرتها على الصياغة الشعرية الرصينة ، ولا عليهـا ، وهي في مستهل الطريق ، أن تعجز عن خلق المعاني ، والصور والافكار ، وتصويرها وعرضهـا في صـور نفسية مقبولة ، على أن الافكار التي تناولتها الشاعرة في قصيدتها تتصل بموضوع مطروق مستهلك ، وربما كان ذلك سببا من أسباب اعاقتها عن الخلق والابداع الفني فيما عدا الرصف والحبكة اللغوية التي أفلت الزمام فيهـا أحيانا من يد الشـاعرة فتسربت الى القصيدة كلمات من أحشاء المعاجم مثل الشذب والغي، والغرب ـ جمع غراب ـ والقن ـ وهو العبد ، الى غير ذلك .

أما الثماني الباقيات فهن شريفة فتحي ، وفلورى عبد الملك ، وروحية القليني ، وعزيزة كاتو ، ولورا الأسيوطي ، وسميرة أبو غزالة ، وجليلة رضا ونجاة شاور ربيع .

اثنتان من هؤلاء اشتركتا في موضوع الحديث عن الاسكندرية وذكرياتهـا وهما الشـاعرتان روحية القليني وجليله رضا .

وواحدة أخذت من حياتها موضوع قصيدتها وهي الشاعرة الفلسطينية سـميرة أبو غزالة ، وموضوع قصيدتها « حلم عودة » ، وتحدثت شاعرتان عن السلام وما يدور حوله وهما فلورى عبد الملك ونجاة شاور ربيع . تناولت شاعرتان موضوعا قوميا يختلف بين احداهمـا والاخرى وهما عزيزة كاتو بقصيدتهـا « أنشودة الى العائدين » ولورا الاسيوطي بقصيدتها « جمال والاشتراكية » .

وشاعرة واحدة اتجهت اتجاها عاطفيا خالصا هي الشاعرة شريفة فتحي ، وقد وزع المجلس بين ماوزعه من الشعر المطبوع قصيدتين احداهما بعنوان صراع في ثلاثة عشر بيتا ، والاخرى بعنوان حبي في خمسة عشر بيتا لهذه الشاعرة . وان تكن ـ فيما نتذكر ـ قد ألقت شيئا من الشعر الوطني لم نجـده ـ مع الاسف ـ في المطبوع الذي بين أيدينا .

أما روحية القليني وجليلة رضا ، فانهمـا ـ رغم اتفاقهما في الموضوع ـ قد اختلفتا اختلافا بينا في علاجه ، فروحية تصف ظواهر الاسكندرية من بحر ونسيم ، وتقصد قصدا الى ذكر معالم الاسكندرية بين الرمل والمكس وكامب شيزار ، وهي مع ذلك تحاول أن تذكر لك في سذاجة قد لا يتطلبها الموقف لماذا تحب هي الاسكندرية ، فلا تكاد تستطيـع أن تذكر شيئا من أسباب ذلك الحب الا ان الاسكندرية جميلة البحر والهواء والأمسيات وان لها حديثا عن الاجيال جميلا .

وتتجه جليله اتجـاها آخر فالاسـكندرية حين يجفوها النـاس في الشـتاء ليست الا امرأة أدبر شبابها فانصرف عنها العاشقون ويابؤس تلك النهاية الأليمة ، وهذا الاتجاه لا يكاد يفارق الشاعرة في

معظم مقطوعات قصيدتها ، وكأنه يستغرق نفسها استغراقا ·

لم يبق للعشاق بعد شتائها أمل وغايه
أو تلك خاتمة الحسان الغيد؟ يابؤس النهايه

***

ذهبت ولم تترك هنا فوق الرمال سوى الضياع
وبدأت ـ يا حسن النهاية ـ فجر عمرك كالوليد
ليت الأنام لهم ربيع كل عام من جديد

وروحية القليني أحسن من صاحبتها في تخير الكلمات التي تصب فيها معانيها ، وألطف موسيقى ، وأجود صوغا · ولا ريب أن مرانتها الشعرية الطويلة ظاهرة في قصيدتها بوضوح ، والروح النسائية فيها بارزة ، كقصيدة جليلة ·

رف النسيم على الوجنات في الفجر
فارج الجو في مسراه بالعطر

***

ونسمة الصبح في ود تعانقني
فتنتشي الروح من أنسام واديك

اما شاعرتا السلام ، فقد كانتا كشاعرتي الاسكندرية اختلافا في منهج القصيدة · وقصيدة نجاة « صلوات صامتة » قصيدة عامة ـ ان صح هذا التعبير ـ فهي ترنيمات ليس بها خط درامي واضح ، بل ان بها بعض المفارقات فان الهلال النحيل لا يمكن ان يظهر قط في الهزيع الاخير من الليل ، وخير للشاعرة أن تبقى قصيدتها دعوات للكون ليملاه الله بالحب والسلام ليسمعها الناس أنفاسا أنفاسا · على أن بالقصيدة بعض الصور المبهمة التي لا تتصل بغيرها فتبقى مقطوعة الصلة بما حولها · وفيها ـ مع ذلك ـ صور ومعان جيدة :

في الهزيع الاخير والليل ساج
وقلوب أحلامها نشوانه
والهلال النحيل ···
يا الهي أدعوك فاقبل دعائي
واهد يا رب أنفسا حيرانه
واهد يا رب كل باغ ظلوم
عاش في الارض ناشرا طغيانه

اما فلورى عبد الملك فقصيدتها متكاملة الفكرة ، تدور على محور واضح في ذهن الشاعرة ، والمحاورة التي جرت بين الشاعرة والسلام فن من القول جميل ، والعرض في مثل هذا الاطار القصصي مؤثر أيما تأثير ، ولقد صاغت الشاعرة أفكارها في بساطة ، وفي أسلوب سهل قد يعتوره الاسفاف أحيانا ، ولكن القصيدة ـ مع ذلك ـ تبقى محتفظة بقدرها الفني بين قصائد المهرجان ·

لا تتركوا الشرر الأكول يفر من رأى عنيد
ليشتت الشمل الأليف ويقتل النغم السعيد
ودعوا الرضيع لأمه ، يحظى بما يحظى الوليد

اما قصيدة شاعرة فلسطين ، فهي قصيدة تتصل ـ كما قلنا ـ بحياة صاحبتها اتصالا وثيقا ، ولا عجب بعد ذلك أن تمتلىء بحرارة الصدق ، وأن تعينها تلك الحرارة على اجادة الصياغة :

هناك أخي ثائر مزبد
هناك سيبقى الفتى اليعربي
طويل النجاد رفيع العماد
قوى الشكيمة حر الأب
يجد المسير الى ملتقانا
الى القدس، مسرى الرسول النبي

***

هناك أخي ثائر لا يلين
هناك يهيىء للعودة !

والشاعرتان الوطنيتان لورا الاسيوطي وعزيزة كاتو ، اختلفتا أيضا في الاتجاه ، فلورا شرحت الاشتراكية شرحا خطابيا في لغة سليمة وأسلوب متين ، ووفقت كل التوفيق في الجمع الذهني لعناصر موضوعها ، وفي عرضه ، وشاب القصيدة هدوء في موسيقاها ، وكان خيرا لها لو أنها بثت بها بعض الثورة :

الزرع تجني جناه كف زارعه
والصانعون لهم في الربع أزكاه
واصبح الكل في حق الحياة له
منها نصيب بقدر الجهد يلقاه
لم يبق فينا فقير شفه سغب
الا ونال المنى من خير دنياه ·

اما كاتو فقد بدت موسيقاها ثائرة ، وكانت ألفاظ قصيدتها وثيقة الصلة بموضوعها ، وكانت الروح النسوية ـ رغم ذلك بارزة في قولها « يا لزهوي » أكثر من مرة ، وبقولها :

مذكرات طاغور عن طفولته

ترجمة : حورية حجازى

(بقية)

- ٤ -

وحينما كنت تلميذا مقيدا فى المدرسة الشرقية الابتدائية ، كنت أفتح فصلا خاصا بى فى أحد أركان شرفتنا . وكانت قضبان الشرفة الخشبية هى تلاميذى ؟ وكنت أنا معلم الفصل ، أحمل العصا فى يدى ، وأجلس على مقعد أمام القضبان . وكنت أحدد من هم التلاميذ المجتهدون ومن منهم الكسالى . وكنت أميز فى سهولة ، الهادىء منهم والعفريت .. والذكى من الغبى . وكانت العصا تهبط دون شفقة على التلميذ الكسول أو الشقى أو الغبى . ولكن سرعان ما انهارت تلاميذى الخشبية ، وكان على أن ابدلهم بتلاميذ من الحديد ! وكنت يومها لا أدرك بأن ماكنت أفعله ، ليس الا رد فعل للانفعالات العتيقة التى كانت تعمل فى نفسى عن المعلمين والتلاميذ فى فترة صباى .

ولم أطق صبرا على المكوث بالمدرسة الابتدائية الشرقية ، فنقلت بعد شهور الى المدرسة العادية . وكل ما أتذكره عن تلك المدرسة ، أن التلاميذ جميعا كانوا يصطفون فى طابور طويل كل صباح ، وينشدون بعض الأشعار أو الأغانى ، كمحاولة لاثارة الفرح فى نفوسهم قبل بدء اليوم الدراسى .

ولكن لسوء الحظ كانت كلمات الأناشيد انجليزية ، ويبدو اللحن أجنبيا ، لهذا كنا لا نفهم كلمة واحدة من هذا الذى نردده فى أصوات عالية . وكانت تجربتى مع تلاميذ تلك المدرسة مريرة للغاية . فقد كان أغلبهم من طبقة منحطة ، لا أخلاق لهم . لهذا لم أستطع الاندماج فيهم والحصول على أصدقاء من بينهم . ولعل الابتعاد عن هؤلاء التلاميذ هو الذى هيأ لى الفرصة للاستذكار الطويل العميق ، والتهام كل ما كان يقع فى يدى من كتب وكراسات ومقالات .

وبعد مرور عام واحد فى تلك المدرسة ، أديت الامتحان فى اللغة البنغالية ، وكان ممتحنى هو البانديت كاشاسباتى . وحصلت على أعلى درجة بين

(بقية فى مهرجان الشعر الخامس)

واختيالى بالزنود السمر فى ارض البطوله
بشقيقى .. بالفدائية فيه والرجولة

والقصيدة فى عمومها واعدة بمستقبل طيب فى الشعر لصاحبتها .

وتبقى بعد ذلك قصيدتا شريفة فتحى ، وكلتاهما رفيعة المستوى سواء من ناحية المضمون ومن ناحية النظم ، ولا جدال ان المرانة واضحة فى أسلوب الشاعرة حيث طوعت لها المعانى فصاغتها كأحسن ما تكون الصياغة ، وكلتا القصيدتين ذات فكرة فاحداهما تصور الحيرة بين الحب ، والمحافظة الخالصة أو بين ابداء الحب وكتمانه أو بين الانطلاق وتقوى الله :

ابدعته بيديك حرا جامحا
وغللته بتقاك عبدا موثقا
فاذا بأخلاق تصارع خلقه
حر سجين يبتغى أن يعتقا

واكاد من همى أذوب بحيرتى
والقلب أضحى من قضائك مشفقا
اما أضحيه شهيدا للهوى
أو أن أضحيه شهيدا للتقى
أو أن أسلم أمره لهما معا
فيظل فى هذا الصراع ممزقا

والاخرى تتحدث حديثا عذبا عن كتمان الحب ، والحب عندها ، كما تقول من مفاتن ذاتها فلا غرو ان سترته وبالغت فى ستره :

أولى بقلبى أن أراه محطما
من أن أراه عارى القسمات
فالقلب محراب يضم عواطفى
أو ليس للمحراب من حرمات ؟

والقصيدتان من النماذج الطيبة ذات المكانة بين شعر المهرجان .

العوضى الوكيل

التلاميذ . واشتكى المدرس لسلطات المدرسة بان الممتحنين كانوا يلقونني الاجابة ، وبانهم يحابونني محاباة صريحة . ولهذا السبب أديت الامتحان للمرة الثانية ، بينما وقف ناظر المدرسة يراقبني . ولكني أظهرت تفوقا في هذه المرة أيضا .

- ٥ -

وكانت سني لا تتعدى العام الثامن في ذلك الوقت . وكان ابن عمتي « جيوتي » اكبر مني سنا ، فاستطاع أن يتعلم الادب الانجليزي ، وأخذ يلقي على مسامعي كل يوم اشعار «هملت» بعد أن يحفظها عن ظهر قلب . وحدث بعد ظهر أحد الايام أن استدعاني الى غرفته ، وطلب مني أن احاول كتابة بعض أبيات من الشعر ، ثم أخذ يشرح لي كيفية بناء بيت الشعر المكون من اربعة عشر مقطعا . وكنت لا أتخيل مطلقا ، أن محاولتي في كتابة الشعر ستنتج شعرا ، وصفه ابن عمتي ، بانه رصين وممتاز . وفي مساء أحد الايام ، سمعت أن لصا تسلل الى البيت وبأن الخدم قبضوا عليه .

واعترتني مشاعر الفضول والخوف معا ، وعزمت على مشاهدة اللص بنفسي . ولكني وجدته رجلا عاديا . بل اني عندما شاهدت بواب البيت يقسو عليه بالضرب المبرح ، امتلأ قلبي شفقة على اللص . ومثل هذا الشعور احس به تجاه الشعر ! فحتى اليوم ، عندما أسطر بعض الكلمات غير عامد ، اجدها تتحول الى شعر موزون .. وعندما اجد الشعر المسكين يتعثر على شفاه أو اقلام بعض الكتاب ، اشعر باحساس الشفقة الذي أحسست به نحو اللص .

ومنذ ذلك اليوم ، اخذت يدي تخط ابياتا مهلهلة من الشعر على كل ورقة تصادفني . بل حدث يوما ان وجدت ملفا حكوميا هاما فاخذت اسطر على صفحاته الخلفية ، كل ما كانت تسعفني به قريحتي من الشعر . وكان جزائي علقة ساخنة لا انساها مدى الحياة .

وحدث يوما ان لمح ابن عمتي السالف الذكر « ناجوبال ميتر » محرر صحيفة «نيشنل بيبر» قادما لزيارتنا . فاقتحم عليه الغرفة ، وقال له دون مقدمات : عمي ناجوبال ، ألا تستمع الى قطعة من الشعر الفهارابي ؟ ورابي هو اسمي بين العائلة .

وكنت دائما مستعدا لاطلاع أي شخص على شعري ، فقد كنت الكاتب والطابع والناشر كلهم في آن واحد . وكانت جيوبي دائما مليئة بالمخطوطات . وكان أخي هذا هو وحده الذي يقوم بالاعلان والدعاية .

وفي سرعة ، أخذت القي قصيدة « اللومشي » امام الكاتب الشاعر الصحفي ناجوبال بابو . ولم اكد أنتهي حتى صاح : هذا جميل .. رائع .. ! ولكن ما معنى دويرفا ؟

واسقط في يدي ، فقد كنت لا اعرف معنى هذه الكلمة . ولكني وضعتها في القصيدة ، لضرورة القافية فقط . وابتسم « ناجوبال » كأنه قد فهم . واعتراني الخجل . وشعرت بالتفاهة . وقررت الا اقرأ الشعر ابدا أمام هذا الرجل . ومرت بي السنون وكنت اتجنب خلالها « ناجوبال » ، حتى أتى الى يوما ، وقال لي وهو يبتسم : لقد عثرت في القاموس على معنى « دويرفا » : انها النحلة عندما تسكر من العسل .. لقد غاب هذا المعنى عن بالي ... فشكرا لك ... !؟

- ٦ -

وكان احد معلمي المدرسة الاعتيادية ، يأتي الى بيتنا لاعطائنا بعض الدروس الخصوصية . كان يابس العود ، جاف الوجه ، أجش الصوت ، يبدو كزعزوعة القصب . وكانت مواعيده من السادسة الى منتصف العاشرة صباحا . وبفضله تحولت قراءتنا من الادب الشعبي والعلوم المبسطة ، الى ملاحم ميغانا وقادا .

وكان شقيقي الثالث ، حريصا على أن يمدنا بالمعلومات المتنوعة . لهذا كنا نتعلم في البيت أكثر مما كنا نتعلم في المدرسة . وكان علينا أن نستيقظ قبل الفجر . فنقوم ببعض التمرينات الرياضية الساذجة ، ثم نقبل على الدرس مباشرة ، ندرس الادب والحساب والجغرافيا والتاريخ . وعند عودتنا من المدرسة ، نجد في انتظارنا معلمي الرسم والالعاب الرياضية وفي المساء ، كان يفد علينا أغور بابو ، ليعطينا دروس الانجليزية . لهذا كنا لا نفرغ من الدرس قبل التاسعة مساء . وفي صبيحة أيام الآحاد ، كنا نتلقى دروسا في الغناء على الاستاذ فيشنو . ولم تكد تمر فترة طويلة ، حتى بات يفد على بيتنا الاستاذ سيتانات دنا ، ليعطينا دروس

(البقية على صفحة ٤٠)

في موكب العلم

المساهمة الاسلامية في الطب

للأستاذ نير واسطي

أستاذ الطب اليوناني والعربي بجامعة باكستان

(١)

من المألوف لدى مؤرخي العلوم والفنون ، ولاسيما أولئك المعنيين بتاريخ الطب أن يتجاهلوا الحقبة الاسلامية في الفنون والمعرفة بقولهم انه لم يظهر خلال هذه الفترة اى عمل بناء ، وان المسلمين حسب رأيهم لم يفعلوا شيئا سوى انهم حافظوا على التراث اليوناني وابقوه حيا ، ثم نقلوه الى العالم الاوربي ، ولو سلمنا بوجهة النظر هذه سيكون المرء عازفا عن دراسة العلم الذى ساهم المسلمون به « مساهمة قليلة » .

ومن بين الفترات الثلاث المتميزة لتطور علوم الطب (وهى اليونانية والاسلامية والاوربية) نجد ان الفترة الوسطى مستبعدة بحجة انها خالية من الانتاج ، ولكن هذا الراى هو على شيء كثير من الخطأ والضلال .

التراث اليوناني

ليس عندى ادنى شك فى التسليم بأن العلماء والحكماء المسلمين قد اعجبوا بالفنون والمعارف اليونانية ، ولكنهم لم يسيروا مغمضى الأعين على خطى أسلافهم اليونانيين كما انهم لم يكتفوا بما خلفه جالينوس وأبقراط من تراث قليل ، بل انهم محصوا هذا التراث وغربلوه ثم أخرجوا منه ما هو مفيد لهم ، ورفضوا دون تردد ما اعتبروه عديم الفائدة قليل الاهمية . وفضلا عن الشيء الكثير الذى فعلوه فى هذا الميدان ، فان العلوم الطبية القائمة تبدلت الى علم جديد بكل معنى الكلمة على أيديهم .

فكتابا « القانون » لابن سينا و « الحاوى » للرازى يعدان شهادتين ناطقتين على مساهمة المسلمين فى هذا العلم .

ولاشك بأن استعراضا معقولا للمساهمات الاسلامية ستحتاج فى الحقيقة الى عمل ضخم . ولكننى سأستشهد فقط بعدد قليل منها .

علم التشريح

لم يسلم العرب تسليما أعمى بتفسيرات اليونان لعلم التشريح او بكتاب « علم التشريح » لجالينوس ، بل محصوا هذا العلم تمحيصا دقيقا ، وقد روى عن يوحنا بن ماسويه انه حين الف كتابه فى علم التشريح استحضر قردة من حديقة الخليفة المعتصم بالله لاجراء اختبارات التشريح عليها .

وقد قام بعمليات كاملة عليها لجعل معرفته اكثر اتساعا ، وللحصول على المزيد من المعلومات حول الجسم البشرى .

ويقول ابن القفطى ان يوحنا كان ينوى فى البداية التضحية بابنه للقيام بهذه التجارب ، ولكن الخليفة حال بينه وبين هذه الطريقة وبعث اليه بالقردة .

انتقاد جالينوس

ان الجداول البيانية والرسوم التفصيلية لاجزاء الجسم الانسانى كتلك التى ظهرت فى كتاب « تشريح المنصورى » لمؤلفه منصور بن محمد (١٣٩٦ بعد المسيح) لم يعثر عليها مطلقا فى التراث اليونانى .

وفى هذا الميدان نجد ان العرب قد تفوقوا على اليونانيين وقدموا عدة اضافات . وقد كتب عبد اللطيف البغدادى فى القرن الحادى عشر ينتقد جالينوس على تأكيده بأن الفك الاسفل مؤلف من عظم واحد . ويعتبر البغدادى ذلك نقصا فى الملاحظة الدقيقة . كما لاحظ على بن عباس بأن هناك ثلاث طبقات فى جدران الأوعية الدموية .

واستنتج علماء التشريح المسلمون على عكس جالينوس بأن الجمجمة البشرية تحتوى على ثمانية عظام بينما اكد جالينوس انها تحتوى على سبعة . وفى ما بعد اعتقدوا أن الاذن تحتوى على ثلاثة عظام صغيرة لتسهيل طاقة السمع .

الفيزيولوجيا

يذكر برهان الدين فى كتابه « شرح الاسباب » ان الدم يحتوى على عصير العنب (السكر) . وقال الرازى ان مادة حامضة وجدت فى المعدة ، واعتقد حنين ايضا ان هناك عصيرا حريفا فى المعدة هو الذى يسبب الشعور بالجوع .

وقد شرح علاء الدين ابو الاعلى ، على بن ابى حزم القرشى من دمشق نظرية الدورة الدموية بالتفصيل قبل ثلاثمائة سنة من السير ويليام هارق وهو واقع اعترف به البروفسور دكتورج . بلاثام من جامعة مانشستر .

وقال حنين بن اسحق ان تركيب الاعصاب هو مماثل للدفاع ، ووجد علاء الدين القرشى من دمشق ان الغذاء هو الوقود اللازم للمحافظة على تدفئة الجسم . وقد نميت هذه الفكرة فيما بعد . وقد شرح ابو سهل المسيحى بأن امتصاص الغذاء يجرى فى الامعاء اكثر مما هو فى المعدة . وحين وصف ابن سينا عملية الهضم قال انها تبدا فى الحقيقة عند مضغ الطعام فى الفم . وقال ابو الفرج ان هناك اقنية فى الاعصاب تتدفق الاحاسيس والحركات عن طريقها .

البكتريولوجيا (علم الجراثيم)

ان العلم الطبى اليوم هو نتيجة ابحاث الجراثيم وفى هذا الصدد تأتى الابحاث التى اجراها ابن سينا فى الطليعة . وقد ذكر ضمنا ان الافرازات الجسمية تتلوث بجسم اجنبى ارضى غريب قبل ان تصاب بالالتهاب . وذكر ابن ختمية (١٣٦٩ ميلادية) ان الانسان محاط باجسام دقيقة تدخل الجهاز البشرى وتسبب الداء ، وقد استشهد الدكتور غروينر بهذه الآراء ليعبر عن الرأى القائل ان العرب كانوا مطلعين تمام الاطلاع على نظرية الجراثيم .

وشرح ابن الخطيب وجود العدوى بالتفصيل ، وقال انه توصل اليها بعد التجربة والملاحظة .

التشخيص والمعالجة

وصف الجرجانى فى « ذخيرة خوارزم شاهى » الفرق بين جحوظ العين والغوطة الذى اكتشفه الدكتور بارى سنة ١٨٢٥ اى بعد ٦٠٠ سنة على ذلك . وكان الرازى أول من الف كتابا عن الحصبة والجدرة ، واظهر الفرق بين الاثنين . وسنة ١٦٨٩ بدا المسلمون فى تركيا عمليات التلقيح ضد الجدرى التى انتقلت الى اوربا فى القرن الثامن عشر عن طريق الليدى مونتاغو زوجة السفير البريطانى فى تركيا ، ولم يكن الاطباء اليونانيون يقدرون على التفرقة بين الدائين .

وقد اقترح ابو المنصور سعيد بن بشير بن عبدوس ، على عكس الاطباء اليونانيين القدماء ، الاطعمة الخفيفة والادوية التى تسبب البرودة عند معالجة الشلل العمومى وشلل الوجه .

وقد طبق ابو الحسن الذى كان طبيب عضد الدولة طريقة الفصد لمعالجة النزيف الدماغى الذى ينتج غالبا عن الضغط الدموى . وفى تركيا كان الطبيب المسلم شرف الدين سابونكو اوغلو هو أول من جرب الترياق على الديوك قبل اعطائه الى المرضى . وقد شرح ابو القاسم الزهراوى (فى القرن العاشر) ان الجرح فى النخاع أو النخاع الشوكى يسبب الشلل .

(يتبع) – نير واسطى

فوزى الشتوى فى جوار الله

● فى اواخر الاسبوع الماضى استأثرت رحمة الله باحد كتاب الرسالة المبرزين هو المرحوم الاستاذ فوزى الشتوى المحرر العلمي للأهرام .

والرسالة اذ يعز عليها أن تنعى الى قرائها كاتبا من كتابها ، كان فوق غزارة علمه ، وسعة اطلاعه ، وعمق معرفته – مثلا فى دماثة الخلق ،وسمو النفس ، وعذوبة الطبع – تسال الله عز وجل له الرحمة ولذويه الصبر ، ولقراء الرسالة العزاء .

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

رائد قصصي يخلد رائدة اجتماعية

« عفيفة اسكندر ابراهيم » التي حدثنا عنها فى « الأخبار » الأستاذ أحمد بهاء الدين ، كانت احدى شخصيات قصص « شحاته عبيد » أحد روادنا القصصيين منذ أكثر من اربعين سنة .

قال الأستاذ بهاء : « جاءت الى مكتبى الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، وفى يمينها قطعة حية ، غريبة ، من التاريخ ... ، وهذه القطعة هى سيدة تناهز السبعين ، حكت قصتها للأخ بهاء قائلة : **انا عفيفة اسكندر ابراهيم أول فتاة مصرية دخلت باب الجامعات فى مصر ، وجلست جنبا الى جنب مع الطلبة وأضرب الطلبة احتجاجا على وجود فتاة بينهم ، وكان ذلك فى سنة ١٩٢٣ .** وقصتها فى الجامعة تتلخص فى انها تعهدت الا تطالب بشهادة الليسانس كشرط لبقائها فى الدراسة ، وبقيت فى الدراسة بكلية الآداب حتى تخرجت بدون شهادة .. اللهم الاشهادة بانها استمعت الى دروس قسم الآثار القديمة .

وتضمنت حكايتها أنها درست الرسم والموسيقى ودخلت الجمعيات النسائية التى كانت قد بدأت تظهر فى أعقاب الحركة الوطنية ، وأقامت معارض للرسم ، وقدمت فى احدى الحفلات الخيرية الكبرى لوحة رسمتها بريشتها لسعد زغلول ، وعرضت للبيع فى مزاد علنى لصالح بعض المشروعات الخيرية ، فبيعت بمبلغ ٢٨٠ جنيها .. وكان ذلك فى سنة ١٩٢٠ .

***

ولست أدرى هل تعلم السيدة عفيفة ، أو لا تعلم ، ان شحاته عبيد خلدها فى قصة عنوانها « الصلاة » بمجموعته « درس مؤلم » المطبوعة سنة ١٩٢٢ وقد ورد اسمها كاملا كما هو فى القصة مع أسماء نسائية تاريخية معروفة فى الحركة الوطنية والنهضة النسائية التى اعقبت ثورة سنة ١٩١٩ .

وقصة « الصلاة » محورها أديب سماه الكاتب « بطرس مقار » ، ولا أدرى هل هو اسم حقيقى أو موضوع ، رسم شخصيته على أنه أديب مضيع أبى ان يسف بأدبه ويتجر به واصر على أن ينتج الأدب الجاد الصادق ، فلم يفهمه قومه ولم يقدروه ، وعاش يصارع الفقر ويكابد آلام الحياة ، حتى توفى تاركا وراءه أرملة وأربعة أطفال ، ولم يترك لهم سوى دفاتر سودتها يمينه كما سود الدهر صفحات حظهم .

***

وعاشت أسرة الأديب فى ضنك وسغب وشقاء ، حتى وقف على أمرها صديق قديم لعائلها الراحل ، فاهتم بها وأخذ على عاتقه أن ينتشل أسرة صديقه القديم من الفاقة والبؤس ، وعمل على أن يسلك طريقا خفيا لا يجرح احساس الأرملة ، ورأى ان سبيل ذلك هو الجمعية الخيرية القبطية ، وهو أحد أعضائها العاملين .

وكان يتردد على منزل الأسرة ، وفيما هو ينقب يوما فى خزانة قديمة عثر على دفاتر ثلاثة ، تدع الكاتب : شحاته عبيد يحدثنا عنها ، ففى حديثه بيان اتجاه أدبى جديد فى ذلك الوقت ، قال :

« الكراسة الأولى ديوان شعر عنوانه (كيد بنفنت) **نهج فيه الناظم نهجا حديثا متحديا شعراء الغرب فى نظمهم** ، ورأى بسخرون (اسم الصديق) الديوان عبارة عن مقطعات وقصص منظومة ، وكلها تحلل الآلام الانسانية تحليلا صادقا استمده محلله من اختباراته فى آلامه الشخصية ودروسه النفسية والكراسة الثانية عنوانها (أغنياؤنا) عبارة عن رواية مصرية ألفها خصيصا ليجمع فيها نفسيات أغنيائنا فيشرح كلا منها تشريحا وافيا يدل على تلمسه أمكنة الداء فيها ، فكانت بحثا اجتماعيا مستفيضا فى الغنى والفقير صب فيه عصارة أفكاره وجل مباحثه ومطالعاته فى قالب قصصى جذاب .

والكراسة الثالثة عنوانها (الزواج المادى) وهى أيضا رواية عصرية يشرح فيها فساد بناء العائلة اذا كان قائما على زواج أساسه المادة ، **وقد اقتدى المؤلف فيها بأهل المذهب القائل بأن يترك للقارىء جهد معرفة قصد المؤلف** ، فالكراسة لمن يقرؤها لا يكلف نفسه عناء التفكير لا تخرج عن كونها قصة جميلة ، ولمن عرف مرمى كاتبها درسا نافعا مفيدا يستخلص مغزاها من مجموع حوادثها » .

قدم يسخرون هذه الكتب للجمعية كي تطبعها وتخصص ثمنها لأسرة المؤلف ، ووافقت الجمعية ، وطبعت الكتب ، » ولكن انحطاط عقلية الجمهور جعلها مهملة فى غرف الجمعية ومبعثرة فى المكاتب كما يعبر شحاته عبيد .

وهنا ينتقل بنا الكاتب الى موضوع آخر تتصل حادثته بالأولى ، والموضوع الثانى يشبه الكتابة الصحفية من حيث أنه سرد وقائع وقعت فعلا بأسماء أشخاصها الحقيقية . وكان هذا اندفاعا من جهة الى عرض صفحة مشرقة من النهضة الأولى ، ومن جهة أخرى الى الايغال فى الواقعية الادبية ايغالا لا يدنو به الكاتب الى الواقع فحسب ، بل يعرض به الواقع نفسه .

ولا شك ان تعدد الموضوعات الرئيسية فى القصة القصيرة وعرض الواقع نفسه دون أن يحول الى واقع أدبى ، من العيوب فى الكتابة القصصية ، ولكن اكثر الله خير الكاتب .. فقد كان هو وزملاؤه يرتادون لنا طريقا جديدا .

***

ونعود الى القصة ، كي نصل الى الآنسة عفيفة ولوحتها الغالية ..

يوم ٦ مارس سنة ١٩٢٠ اقيم « سوق الاحسان الخيرى » وعرضت به أشياء كى تباع لصالح الفقراء ، كان من بينها كتب بطرس مقار الثلاثة » ويسخرون بصحب أكابر القوم اليها فيشترون الكتاب بعشرين وثلاثين جنيهـا وقد عرفوا الغاية من عرض هذه الكتب » ويرى المشاهد هناك » حرم شعراوى باشا وحرم خياط بك وحرم فهمى بك ويصا ، يأخذون السيدات ويفهمنهن علة وجود هذه الكتب ومصير ثمنها فتتهافت السيدات على شرائها وكل واحدة تدفع فيها ما تجود به نفسها » .

***

وكان من تلك الأشياء « صورة زيتية لرئيس الأمة وزعيمها سعد باشا زغلول تصوير آنسة من اوانسنا المهذبات الشغوفات بهذا الفن الجميل الآنسة عفيفة اسكندر كريمة اسكندر افندى ابراهيم المحامى هدية منها لفقراء الجمعية ، وقد رأت الأعضاء أن لا تظهرها فى المعرض الا فى آخره ، فوضعتها فى غرفة وأحكمت الرتاج عليها ، وذلك ادخارا للصورة الى الوقت الذى يلاحظ فيه ملل رواد المعرض وشحهم فى الشراء ، فتعرض لاثارة النشاط والمباراة فى الخير .

وعطلت الأمطار حتى اخترقت سقف السرادق ، فلجأ المدعوون والأعضاء الى الغرفة التى وضعت فيها الصورة ، وما فتح الباب ودخل الرجال والسيدات ، ووقع بصرهم عليها حتى وقفوا وقفة الاجلال والاحترام وحيوها بصوت واحد : فليحيى سعد باشا زغلول . فليحى الاستقلال التام . وتجاوبت الأصوات ، فكان فيها الصوت الأجش والصوت الرقيق الرنان ، وما الذ واحلى أصوات السيدات هاتفات لرمز أمانينا واستقلال بلادنا يميزها عن أصوات الرجال الحنان والعذوبة » .

***

واخذ القوم يتزاحمون فى شراء صورة سعد ، حتى رست » على حضرة الخواجة مسيحة بهنا من التجار بمبلغ ٧٢٠ جنيها مصريا . وقد كان يشاهد الملاحظ الدقيق تفتح العيون واصاخة الآذان واضطراب الأعصاب لكل قيمة يظن أنها الحد الاقصى للصورة ، **حتى ان الغريب الجاهل بحركتنا الاخيرة يصيبه ذهول لمجازفتنا ، وربما اخذه شك فى عقليتنا** ، اذ لايرى فى الصورة رسم رفايل او مانيه او فرومان وان كانت فى الحقيقة قيمة من الوجهة الفنية ، ولكن قيمتها الفنية لا يمكن أن توازى القيمة المعطاة لها لكونها تمثل الرئيس ، وربما تمكن أن يلاحظ نفس المدقق كيف عضت حرم شعراوى باشا شفتها غيظا حتى كادت تدميها وقد دفعت فيها خمسمائة جنيه ثم

شغلتها مدام ويصا بك بالاستفهام عن بعض الأشياء واذا بالخواجة مسيحة يدفع ٧٢٠ جنيها وظنوها أقصى قيمة فرسا عليه مزادها ، ولم ينبه حرم شعراوى باشا لنتيجة المزايدة الا قول كريمة شاروبيم بك الآنسة صوفيا بجانبها : « برافو ، فليحى الوطنيون فانتبهت واذا بالصورة قد بيعت ، فعضت شفتها ندما لافلات هذه الفرصة منها » .

***

وبيع فى ذلك اليوم من كتب بطرس مقار ما فرج على أسرته البائسة ، وكان ـ الى جانب مبلغ شهرى تبرعت به محسنة فاضلة فاتحة ـ عهد جديد لأسرة لأديب الذى لم يقدره أحد فى حياته .

ومعذرة لقراء الرسالة مما يرونه فى النصوص المنقولة من القصة ، من أخطاء لغوية ومن ضعف فى بعض التراكيب . وقد كان ذلك مما جعل هذا الكاتب وزملاءه يتخلفون عن ركب الحركة الأدبية ، وكاد يبتلعهم النسيان . **ولكننا الآن ـ ونحن نعيد النظر فى تاريخنا الأدبى ـ لا يسعنا الا أن نحلهم فى مكانتهم الأدبية وهم روادنا فى فن القصة . ولا يخفى ما فى تلك النصوص من صور فنية وافكار رائدة فى الاتجاه السديد للأدب والتعبير الصادق .**

***

ونعود مرة أخرى الى السيدة عفيفة اسكندر ابراهيم وحاضرها المؤثر ، كما حدثنا عنه الأستاذ بهاء ، لقد بدد والدها ثروته قبل أن يموت ، واضطرت الى كسب رزقها عن طريق اعطاء دروس خاصة فى كل اللغات التى تتقنها : الانجليزية والفرنسية والالمانية ، ثم أدركتها الشيخوخة بأمراضها وأصيبت بالذبحة الصدرية ومنعها الأطباء من التدريس ، **وهى الآن تسكن فى (بنسيون) متواضع .. وقد تلقت انذارا من صاحبته بالطرد لعجزها عن دفع الأجرة .**

***

وقد كانت هذه السيدة من أهل الخير الذين يتبرعون للفقراء ، على نحو ما رأينا فى قصة شحاته عبيد ، وان حالتها الآن تشبه حالة أسرة الأديب بطرس مقار . واذا كان « بسخرون » قد استطاع أن ينقذ أسرة صديقه ، **فاننا اليوم فى مجتمع اشتراكى يحمى أفراده وشيوخه العاجزين من العوز والعذاب، وهى فنانة آلت الى هذا المصير المؤلم . ولهذا نضم صوتنا الى صوت الأستاذ أحمد بهاء الدين** فى الالتجاء الى الدكتور حاتم راعى الفن والفنانين .

هذا وقد عرفنا من خلال ماكتبه بهاء أنها تجيد عدة لغات أجنبية ، فاذا كانت حالتها الصحية تمكنها أن تقوم بالترجمة فانى اقترح أن ينتفع بها فى هذا المجال على قدر طاقتها بطريقة تلائمها وتحفظ كرامتها .

زكى طليمات

قرأت أن لجنة المسرح بالمجلس الأعلى للفنون والآداب رشحت الأستاذ زكى طليمات لجائزة الدولة التقديرية فى الفنون .

وزكى طليمات له شأن كبير فى حياتنا الفنية والأدبية ، فهو أب المسرح فى مصر ، واذا كانت جهوده المتواصلة الدائبة فى خدمة المسرح معروفة ، **فان هذا الجيل لا يعرف أن زكى طليمات كان من أدباء الطليعة فى الثلاثينات من هذا القرن ..** كان من أعضاء المدرسة الحديثة التى كانت تضم احمد خيرى سعيد وحسين فوزى وطاهر لاشين وغيرهم ، وكان من رواد الدعوة الى التعبير عن الشخصية المصرية فى الأدب والمسرح وسائر الفنون . وله دراسة قيمة عن «محمد تيمور » صدر بها كتاب « مؤلفات محمد تيمور » الذى أصدره الأستاذ محمود تيمور عقب وفاة شقيقه . **وقد كان رواد الأدب ورواد المسرح متعاونين فى تلك الفترة ومتحدين فى الهدف الكبير ، وهو انشاء فن قومى يصور البيئة المصرية ويقف فى وجه الابتذال والاتجار بالمثيرات الرخيصة .**

***

وقراء الرسالة فى عهدها الماضى يذكرون ما كنا نكتبه عن كفاح زكى طليمات فى انشاء معهد التمثيل وتكوين فرقة المسرح الحديث وما كان يلاقيه من مقاومات رجعية استطاع أن يتغلب عليها وينشىء جيلا جديدا للمسرح العربى من أمثال احمد الجزيرى وسعيد أبو بكر وعبد الغنى قمر والمرحوم صلاح سرحان ونعيمة وصفى وسميحة أيوب وزهرة العلا وسناء جميل .

هؤلاء وغيرهم هم ابناء وبنات زكى طليمات ، وقد شاهدت فى « البروفات » وعلى خشبة المسرح ، فى معهد التمثيل وفى مسرح حديقة الأزبكية ، كيف كان هؤلاء العمالقة الآن عجينة طرية فى يد زكى طليمات يصنعها على عينه .

انى أعجب كيف تأخر تقدير هذا الرجل حتى الآن .

عباس خضر

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

المهرجان الادبى فى المنصورة

(١)

فى الايام السابع والثامن والتاسع من هذا الشهر انعقد المهرجان الادبى لمحافظة الدقهلية فى مدينة المنصورة ، ودعى اليه لفيف من الادباء والمفكرين من أبناء المحافظة المقيمين بالقاهرة وغيرهم، وفى مقدمتهم الاساتذة والدكاترة : الزيات والشناوى ومندور والتابعى وانيس منصور ورامى وصالح جودت والخميسى ، وعز الدين اسماعيل واحمد كمال زكى ورجاء النقاش وفاروق خورشيد وصلاح عبد الصبور وعبد الملك عودة وزكى نجيب محمود وأنس داود ومحمد أحمد العزب ومحمد عودة وسعد الدين وهبه وهمت مصطفى وزكريا الحجاوى واحمد عباس صالح وغيرهم ، وعدد من الشاعرات

وقد حضر المهرجان من حضر وتخلف من تخلف ، وهؤلاء الذين تخلفوا منهم من له عذره ومنهم من ليس له عذر ولكنه آثر السلامة والعافية .

وفى اليوم الأول التقينا بالسيد المحافظ فى مكتبه وظللنا اكثر من ساعة ، ابدى خلالها السيد المحافظ والسيد سكرتير المحافظة الذى قام على عاتقه كل شىء ، ابديا استعدادهما لكل ما ينهض بالحركة الادبية ، وكان مما قاله السيد المحافظ : ان هذا المهرجان تجربة اولى يضعها بين ايدينا ، وابدى الجميع من ادباء القاهرة استعدادهم ايضا للتعاون مع المحافظة فى هذه المهمة ..

كنت افهم وانا احمل حقيبتى الى المنصورة ان هناك تخطيطا شاملا للمهرجان من جانب المحافظة . وأن ادباء المحافظة القاهريين على صلة بهذا التخطيط ولكن يظهر ان المحافظة دفعتها رغبة الى اقامة مهرجان ادبى باى شكل دون ان يكون هناك وقت كاف لوضع خطة او منهاج ، اعتمادا على ان ادباء القاهرة لن يعدموا كفاءة تؤهلهم للعمل على انجاح المهرجان ، وكان واضحا – بالطبع – ان الادباء المدعوين لم يقدر لهم ان يجتمعوا فى القاهرة قبل سفرهم ، ليعدوا انفسهم لهذه المهمة التى دعوا اليها، حتى يستروا الموقف ، ويشرفوا أنفسهم وبلدهم على الاقل ، واذا كانت المحافظة قد قصرت فى تحديد اهداف المهرجان ، ليحقق ما يستطاع منها ، فان هذا لن يعفى ادباء القاهرة من المسئولية مطلقا وهم لم يدعوا كضيوف شرف ، وانما دعوا الى المهرجان اعضاء عاملين ..

ان اى مهرجان ادبى فى محافظة من محافظات الجمهورية العربية المتحدة ، يجب ان تكون اهدافه تنشيط الحركة الادبية المحلية فى المحافظة ، والاتصال بادبائها المقيمين فيها وتقييم انتاجهم ،وابراز قضايا ومشاكل شعب المحافظة عامة، وهى قضايا ومشاكل لا حصر لها..وابراز جزء من تاريخ المحافظة الحافل بالاحداث .. فماذا حدث فى مهرجان المنصورة الادبى ؟

اولا : ان ادباء القاهرة لم يتصلوا على الاطلاق بادباء المحافظة المقيمين ، ولم يفكروا فى استبدال الرحلة الى مصيف جمصة لقضاء نهار باكمله هناك ، بعقد ندوة يجتمعون خلالها بالمتصلين بالحركة الادبية المحلية ، لتقييم انتاجهم ، وتوجيههم ، بل لم يفكروا وفيهم صحفيون كبار – فى الاجتماع بهيئة تحرير مجلة المنصورة ، ليقفوا على وضعها ، ويزودوها بالخطط والمناهج التى تجعلها تقف على قدميها ، ويناقشوا مشكلاتها التى تعترض طريقها .

وادباء القاهرة كان فى استطاعتهم ان يخصصوا اليوم الثالث والاخير من المهرجان الاستماع الى انتاج ادباء المحافظة المقيمين بها ، ولكن الايام الثلاثة انقضت بخير وعافية ، دون ان تبرز لهؤلاء الادباء المقيمين شخصيتهم ، صحيح ان اثنين او ثلاثة منهم القوا قصائد ، ولكنها كانت دون المستوى مادة وهدفا ، فالمعروف ان الادباء المقيمين بالمحافظة هم اقرب الناس الى مشاكل الشعب وقضاياه ، ولكن الذى حدث ان الشاعر عبده المبارك القى قصيدة فى التفرقة العنصرية والخليقة الانسانية ، والشاعر محمد الشامى القى قصيدة فى رثاء كنيدى اثارت الجماهير ، والشاعر الوحيد الذى القى قصيدة عن الفلاح الشاعر على العزب ولكنها كانت مملة لطولها واختلاط معانيها ..

اما ادباء القاهرة العمالقة فيظهر انهم فهموا ان مهمتهم قاصرة على القاء انتاجهم الادبى ليجتذب تصفيق الجمهور وكفى ، ولو كان هذا الانتاج قديما او معادا على الاقل ، او كان مما لا يتصل من قريب او بعيد بقضايا الشعب ومشاكله ..

افتتح الدكتور منصور اليوم الاول بحديث عن الواقعية النقدية والواقعية البناءة ، وتلاه الاستاذ صالح جودت فالقى قصيدة الاسكندرية في المهرجان الخامس للشعر (من وحى بلقيس) مع اضافة أبيات معدودة تحية الى المنصورة ، والقت الشاعرة ملك عبد العزيز قصيدة عنوانها (ثورة على التفرقة العنصرية) والقى الشاعر محمد الجيار قصيدة مهرجان الاسكندرية أيضا عنوانها (حكاية صديقى الاسود) ولكنه عاد فالقى في اليوم الثانى جزءا من ملحمة شعرية عنوانها (معركة المنصورة) كما القى في اليوم الثالث قصيدته (صلاة الى الحرية) والقت الشاعرة الفلسطينية سميره ابو غزالة (نداء الامومة) كما القى الشاعر عبده بدوى قصيدة جيدة عنوانها : (الشوق الى يافا) اما الشاعر كامل الشناوى فقد اكتفى بأن يبعث الى المهرجان بأغنيته الجديدة (يا حبيبها) التى سيغنيها المطرب عبد الحليم حافظ ، كما ارسلت الشاعرة جميلة العلايلى بقصيدتها (راعية) والقت الشاعرة روحية القلينى قصيدتها (صلوات قلب) ثم قصيدتها الاخرى (كرامة) ، كما القى المذيع الشاعر ابراهيم عز الدين قصيدته الصغيرة (انا الشمعة) وكان نصيب معركة المنصورة وهى جزء مهم في تاريخ العالم الاسلامى ، قليلا نسبيا، فالدكتور احمد كمال زكى القى قصيدة مقتضبة لم تتضح فيها معالم المعركة تماما ، وان كانت القت بعض الاضواء عليها ، وذكرتنا بالشعر القديم في الفاظها ومعانيها بداها بقوله :

لا يا فؤادى .. ما علتك صهباء
ولا حبتك بوصل رمت حسناء
فهذه ساعة قد كنت ترقبها
كما ترقب لقيانا الأم ابناء

والقى الشاعر عبد الرحمن صدقى قصيدة عن المنصورة جاءت خفيفة المعانى رقيقة الالفاظ . بداها بقوله :

منصور مذ كنت يا منصوره
وعداك من قدم هنا مقهوره

والقى الشاعر محمد الجيار جزءا من ملحمته عن معركة المنصورة ، اجتذبت تصفيق الجمهور ، والقت الشاعرة فلورى عبد الملك قصيدة عن المنصورة موجزة لم يمكننا القاؤها من أن نفهم منها شيئا والحق يقال : ان قصيدة الشاعرة لورا الاسيوطى عن معركة المنصورة جاءت واضحة المعانى ، وقدمت لها بكلمة نثرية فتحت الاذهان الى قصيدتها .

أما الذين تحدثوا في المهرجان غير الشعراء فكثير. تحدث الاستاذ الخميسى عمن نكتب لهم الادب ، انهم كل الناس البسطاء ، كل من لهم قضايا ومشاكل ، يجب ان نحس بهم ليحسوا بوجودنا ووجودهم معا ، واثار الدكتور عز الدين اسماعيل قضية القديم والحديث ، وذكر اننا نمر بفترة انتقالية في كل شيء ولابد من الاستقرار على اى اللونين ، وقد خطونا خطوات في الاستقرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، وبقى ان نخطو نفس الخطوات في الاستقرار على اى اللونين في المجال الادبى ، يجب ان نرضى عن الشعر القديم والجديد على سواء مثلا ، ونعيش التجربة كما يجب أن تكون دون التمسك بأى نمط من الانماط ، وننهى المعركة ونلتزم المعايشة السلمية تاركين للمستقبل أن يحكم للاصلح بالبقاء .. كما تحدث الدكتور زكى نجيب محمود عن العدل والحرية حديث العالم المفكر ، والدكتور عبد الملك عودة عن التفرقة العنصرية دون أن يتم حديثه . وتحدث المذيع عبد المنعم سلام حديثا سريعا اسماه خواطر ، والواقع انها مست احساساتنا ، قال يجب ان نرى أثرا للفكر والفن المحليين خدمة للريف اولا ، وذكر أن هناك مشاكل عديدة في الريف لم يحس بها الادباء بعد ، وتحدث الاستاذ احمد حرك المحرر بالجمهورية حديثا طويلا مختلط المعانى والافكار ، فلعن الصحافة والاذاعة و (التليفزيون) قبل الثورة ، وطالب هذه الاجهزة بالعناية بقضايا الفلاحين ومشاكل الريف .

اما الذى لم افهمه مطلقا ، فهو موقف المخرج حسن الامام ، والمخرج عاطف سالم ، فالاول وقف يتحدث عن نفسه وانحى باللائمة على الصحفيين من ابناء الدقهلية الذين يهاجمون انتاجه . وفى مقدمتهم ـ الاستاذ احمد عباس صالح الذى لم يرع له قرابة ولا رحما . والآخر وقف ليرفع يده اليمنى ويقسم بايمان ثلاث مغلظة بأنه لم يولد في (جاردن سيتى) وانما ولد في قرية من قرى المنصورة ، ثم اخذ يحدثنا عن نفسه

(يتبع) ـ محمد عبد الله السمان

الكتب - عرض وتعريف

يقدمه : تحسين عبد الحى

امريكا فى نظر اوربا

تأليف : ادوارد . و . شيستر

ترجمة : السيد وفائى

يحتوى الكتاب على تجميع وشرح لوجهة نظر الكتاب الاوربيين مثل هارولد لاسكى ودينيس بروجان - وأرنولد توينبى - وأندريه سيجفريد - **وبرنارد فاى - وهيرمان فون كيسرلنج وغيرهم - فى مختلف مظاهر الحياة الامريكية ٠٠ ويرى هؤلاء الكتاب ان هناك اوجه نقص كثيرة فى ثقافة أمريكا - وفتر فى مادتها - وفى اعتقادهم بان جو هذه البلاد لا يساعد على ازدهار ثقافتها على مستوى عال ٠ ويرى ارنولد توينبى - ان الطبقة المتوسطة فى هذه البلاد « قد انحدرت عن المستوى الذى عينته روما» ويوضح - لوفيج فون ميزيس أن هناك هوة بين رجل الاعمال والرجل المثقف فى أمريكا - وذلك لان المثقفين فى امريكا يقفون من الراسمالية موقفا مضادا - لا يقفه** زملاؤهم فى اوربا ٠

***

واورد المؤلف راى النقاد الاوربيين فيما اسماه - بالثقافة الشعبية فى امريكا - مبينا كيف يطلقون لأقلامهم العنان عندما يتناولون بالبحث المظاهر المتعددة لهذه الثقافة كما أن الكثير منهم يرون فى هوليود انها تلم بجميع نواحى هذه المظاهر فيرى هارولد لاسكى - **انهوليود تمثل كتلة من المتناقضات التى يصعب فهمها - حيث نجد الرجال الذين لايعرفون شيئا عن أى شىء يتصرفون بوحى منجهلهم** - ويرى جورج ديهامل - أى شعب يقع تحت تاثير **السينما الامريكية لنصف قرن من الزمان هو دون أدنى شك فى طريقه الى الانحلال** - وحتى الراديو والتليفزيون يتجهان الى هذه الغاية نفسها من الاستعمال ٠٠ ويرى المعلقون الاوربيون كذلك أن الصحافة الامريكية هى اسوأ مثل لثقافة رديئة وذوق غير مهذب - فيرى هـ ٠ ل فيشر حجمها الكبير الذى تصدر به دليلا على أنها لا تهتم بالمعلومات بقدر اهتمامها بالاعلانات - فى حين تعتقد أوديت كوين أن قراء هذه الصحف غالبا ما يتسمون بالجهل والغباء - اما جيمس برايس - الذى لا يقل عن غيره ضيقا بالصحافة الامريكية - فيؤكد أن الناس فى الولايات المتحدة يتركون للصحف أن تتولى عنهم تشكيل آرائهم - وفى المجال الدينى يذكر المؤلف أنه اذا ما نظرنا الى المستقبل البعيد وحاولنا أن ندرك كنه ما يراه المفكرون الاوربيون فى مستقبل المظاهر المختلفة للدين فى الولايات المتحدة - نخرج من ذلك بنوعين من وجهات النظر فى هذا الموضوع فهناك وجهة النظر التى يرى أصحابها فيما يتنبئون به من ان هناك نزعة دنيوية ستطغى على الدين فى امريكا وهناك من وجهة النظر الاخرى التى يرى أصحابها أن الدين سيبقى ويسود ولكن فى صورة أخرى ٠٠ وذلك على الرغم من ان هؤلاء الكتاب يعرضون فى كتاباتهم من الايضاحات ما يحملنا على الاعتقاد بأن تقوى أمريكا هى تقوى سلبية غير روحية ٠

وفى مجال المقارنة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وأوجه الخلاف بينهما يميل غالبية الكتاب

في أوربا الى الاعتقاد بان هذه الخلافات بين أمريكا وروسيا يمكن أن تسوى بطريقة سلمية – ويحاولون فيما يكتبون أن يعـددوا أهوال الحرب الذرية – ويبرزوا بشاعتها – حتى يحـولوا بذلك دون اية محاولة للقيام باعتداء مسلح – ومن جهة أخرى فانه اذا ما قدر للواقعة أن تقع فليس من شك في أنهـا ستكون أكبر حرب مدمرة تعرضت لها الانسانية على مر الزمن – وفي هذا يقول كل من سيدني وبياتريس ويب : « **ان هذه الحرب التي ستكون** من نوع جديدة اذا ما قدر لها أن تقوم – وعندما تقوم – ستكون حربا دينية على أوسع نطاق وفي أبشع مظـاهر الوحشية مشبعة بروح التضحية بالنفس في اصرار مستميت **يجعل من الحروب الدينيةفي القرن السابع عشر مجرد شغب بسيط اذا ما قورنت بها ..**

***

وحتى من وجهة النظر الاقتصـادية فان ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي من أوجه تعارض ليست مستعصية الحل – وبنـاء على ذلك يقول – أرنولد توينبي : « انه اذا كان الانسان ليس أكثر من أن يكون انسانا اقتصاديا فليس هناك من مبرر لقيام اصطدام بين كل من روسيا وأمريكا في هـذا العالم لاجيال قادمة » – ويؤيد توينبي رأيه في هذا الخصوص بأن المسـألة بين هـاتين الدولتين ليست أكثر من أنها أساسا مسألة معنوية وليست مسألة اقتصادية – كما يؤكد ج.د.هـ كول من ناحية أخرى فيما يكتبه عن الطابع الامريكي والروسي بأن الخلاف الرئيسي بين البلدين خـلاف سـياسي بحت ... ويستحسن أن نضيف هنـا ما يراه الاوربيون من أوجه للتعارض بين كل من أمريكا وروسيا وهي أوجه لها من الصحة ما يجعلها جديرة بالعرض فمن ذلك مايراه أرنولد توينبي من أن «الشعب الروسي يمتاز عادة بطبع هادىء مستقر مسـالم على العكس من الشعب الامريكي الذي يمتاز بطبع قلق غير مستقر وهو عنيد في نفس الوقت .

ويذكر المؤلف كذلك في مجال بحثه الخاص عن – الراديكالية وروسيا – أن جوزيف شـومبيتر – **الصديق الصدوق للرأسـمالية – يتنبأ بأن النظام الاشتراكي سيحل حتما محل النظام الرأسـمالي في الولايات المتحدة – وبالمثل** يبدي – لودفيـج فون ميزيس شكوكه في مستقبل الرأسمالية في أمريكا – بقوله – « **ان الموضوع الرئيسي في النضال السياسي الحالي هو – هل ينظم المجتمع على أسـاس الملكية الخاصة في شئون الانتـاج أو على أساس الملكية العامة .. ؟**

كما يتنبأ جاك ماريتين أنه سيسود في الولايات المتحدة نظام اقتصـادي لا هو بالرأسمالي ولا هو بالاشتراكي .

ومن النتائج التي وصل اليها المفكرون الاوربيون **أن الجمهـور الامريكي ليس دائم الاهتمام بالمسائل السياسية وان تتبعه لها متقطع ليس له صفة الدوام**– مما ينتج عنه تهيئة الفرصة لذوي النفوذ أن يلعبوا دورا هاما في ادارة شئون البلاد . فيقـول أندريه سيجفريد « أن اهتمام البلاد الأكبر ليس بالمسائل السياسية بل هو مركز بصفة خاصة على شـئون الانتـاج » وفيما يتعلق بالطبيعة المتغيرة لاهتمام الشعب الامريكي بالامور السياسيةيرى هارولدلاسكي « أن الرأي العام له وجهة خاصة فيما يهتم به بدلا من أن يكون له نظرة عامة من عدم الاهتمام » ويرى دينيس بروجان – أن الامريكيين لا ينظرون لرجل السياسة نظرة جدية كما ينظرون لرجل الاعمال أو صاحب المهنـة منهم – لذلك فان الشخص الموهوب يتردد كثيرا قبل أن يبحث له عن مركز سياسي لانه يشعر بأنه لن يتلقى من الاحترام ما هو أهل له ..

***

وفي مجال الاشارة الى الملاءمةبين المثل الديمقراطية والتوجيهات الاقتصـادية يرى – جونار ميردال – **أنه يجب على الديمقراطية والقطاع الخـاص معا أن يتوليا حل مشكلة تشغيل الايدي العاملة حلا كاملا– في حين يعلن هارولد لاسكي – أنه يوجد تعارض بين الرأسمالية والديمقراطية – ويلخص دينيس بروجان الموقف بأن المشكلة التي تواجهها البلاد الديمقراطية في الوقت الحاضر وبالذات الولايات المتـحدة هي التـوفيق بين الديمقراطية السياسية والتقـدم الاقتصادي .**

تحسين عبد الحي

البريد الأدبي

لماذا هذا التجني

حاول الاستاذ العوضي الوكيل (في الرسالة الغراء العدد ٢٠) أن يتناول مهرجان الشعر الذي اقيم بالاسكندرية من حيث المقارنة بين القصائد الواحدة الموضوع . وهي زاوية مثيرة وحساسة الى حد كبير اذ هي وضع لشاعرين في الميزان ومقارنة بينهما مما يحتاج الى كثير جدا من الدقة واللباقة والتحرز ، وكل ذلك واكثر منه متوفر لأستاذنا الوكيل . فقد مر بموضوع التفرقة العنصرية آخذا على الشاعرين من وجهة نظره ما أراد ، غير مفضل لاحدهما على الآخر ، موردا من نص القصيدتين ما استطاع .

ولكنه في موضوع « الى ولدى » عرض لقصيدتي دون أن يورد نصا منها ، وهذه مخالفة لأبسط قواعد النقد ، لان الناقد في هذه الحالة يحجب الكائن الفني عن الجمهور وينصب ذوقه وصيا على القراء ويلقنهم رأيه فيما لم يروه .

يقول الاستاذ الناقد عن قصيدتي الى ولدى — دون أن يورد نصا منها « انها قصيدة لا جو لها لان أولها يوشك أن يلتقي بآخرها على سرد للافكار والمعاني » ثم يقول في موضع آخر « انها لواقعية لا يرتضيها جو القصيدة » واذن فالقصيدة لها جو أو ليس لها جو لست أدرى .. ثم ان وصف الناقد للقصيدة يفيد انها وحدة واحدة وموضوعها متماسك متكامل مرتبط وأعتقد ان هذا في حكم النقاد الحقيقيين للقصيدة وليس عليها .

ويقول الناقد أيضا عن القصيدة « فيها مقطع كنت أحب ألا يلقنه الشاعر لابنه وهو — بعد — ما يزال في المهد ، ذلك هو الشكوى من حقد الناس والتبرم بهم » .

والقصيدة كعمل فني نتيجة تجربة حقيقية ومعاناة صادقة ، والطفل ما هو الا المؤثر الذي دفع التجربة الى الفاعلية والانتاج ، وتجارب الفنان لا تخضع لما يحبه أو لا يحبه الناقد ، وخير للطفل أن يعرف بعد أن يكبر حقيقة المجتمع الذي يعيش فيه من خلال التجربة التي عاشها أبوه .

وبعد هذا فان ما يختتم به المقطع المشار اليه هو :

حاولت أكرهه فلم أفلح وأسقط في يدى

انى أحب الناس ياولدى ولو حقدوا على

ثم يقول السيد الناقد « ولست أدرى لماذا حشر الشاعر كلمة الشهوة حشرا في وصف فم ابنه الصغير أكثر من مرة ، فيقول في البيت الثاني :

لاتحرمن أباك من فمك الشهى اذا ابتسم

وفي البيت الثاني والعشرين :

وتعثر الكلمات في فمك الشهي المبتسم»

ولست أدرى أنا كيف يكون هذا الوصف حشرا ، وهل أحس الناقد أنه لا داعي له ؟ ثم هل استعمال فعل اشتهى ومشتقاته حتى الشهوة — معيب؟ والناقد مشهور بأنه يحفظ القرآن الكريم ، فهل يعرف كم مرة استعمل هذا الفعل ومشتقاته في القرآن ؟

ويتفضل سيادة الناقد فيقول « وانها لواقعية لا يرتضيها جو القصيدة أن يقول الشاعر الشادى لابنه (تعبت من الحديث معك) فانها شهادة بما تدعيه من أن القصيدة ليست بنت تجربة عاطفية أصيلة » .

فكيف يكون ذلك ؟ كيف يتصور الناقد أن هناك انسانا أو حيوانا ليس بينه وبين ولده عاطفة أصيلة؟ قد يخطىء الشاعر التعبير — اذا حدث ذلك — ولكنه لا يمكن أن يتهم أبدا بأنه ليس بينه وبين ابنه عاطفة أصيلة .

ان أمانة القلم تحتم على من يملكون نشر الكلمة اذا حاولوا النقد أن يحسنوا — على الاقل — القراءة ، لقد سمع الناقد القصيدة وكان حاضرا المهرجان ثم قرأها في (الرونيو) على حد تعبيره ، ثم أتى في نهاية المطاف ليقرأ الشاهد خطأ فيتهم الشاعر بأنه قال لابنه (تعبت من الحديث معك) بضم التاء في تعبت ، ولو قرأها على وجهها الصحيح كما سمعها بفتح التاء لأصبحت تاء المخاطب ولتغير المعنى فأصبح (تعبت من الحديث معى) وأصبح فيه من الحنو والاشفاق ما يدل الناقد على العاطفة الاصيلة التي يبحث عنها بعد أن يغطيها .

ومما شرفني به سيادة الناقد أنه جاء الى القصيدة الاخرى التي تشترك مع قصيدتي في نفس الموضوع فنقدها في خمس جمل ، قال فيها ان هذه القصيدة أجمل من الاخرى ، ثم ان هذه القصيدة أحسن من الاخرى ، ثم ان هذه القصيدة جرت على نسق أعلى من الاخرى ... وهكذا ... ثم اورد الشاهد الذى اعجبه منها في سبعة أبيات ، وهكذا كشف الغطاء وأسفر الناقد عن هدفه من وضع شاعر أمام شاعر ، وأنا لا اعتراض لى على حكم الناقد فهو حر في رأيه ، حر في نشره على الناس ما دام يملك الكلمة ، انما كنت أرجو أن يضع الشاهد الذى لم يعجبه من قصيدتي في سبعة أبيات أيضا ، حتى يدع لغيره الاشتراك معه في الحكم ، فقد انتهت عهود الفردية والتأله حتى في النقد .

وبعد فمرحبا بالنقد ... النقد السليم على وجهه الصحيح بكل أصوله وتقاليده .

محمد التهامي

تعليقات عابرة ..

في العدد ١٠٣٦ من الرسالة الغراء الصادرة في ٢١ نوفمبر الماضي قصيدة للاستاذ الشاعر محمود حسن اسماعيل بعنوان « أريد لقاء الله » لى عليها تعليقات عابرة أجملها في الآتي :-

١ - قال الشاعر :

أعنى على هذا (الستار) فانني
عجزت ولم تهدأ براكين حيرتي !

وحبذا لو قال : أعنى على هذا (الحجاب) . فالستار غير الحجاب . قال تعالى : « حجابا مستورا » اى حجابا على حجاب ، ومستورا بمعنى ساتر اى مفعولا بمعنى فاعل، وليست الغيوب من السهولة والضحولة بحيث اذا رفع عنها (الستار) ظهرت للعيان حقيقة لا غيبا كأى شيء مادى .. بخاصة وأن الشاعر يطلب العون من الله وقد عجز عن اللقاء حائرا ..

٢ - وقال في بيت آخر :

دهور توالت والرباب على يدى
(واعزف) للانسان .. الخ

والواو في (واعزف) لا مكان لها في البيت .. البتة .

٣ - وفي بيت آخر يقول :

ودرت حواليها وطرفى مساكن
يجوب (زوايا) النفس في كل نظرة

وليس للنفس (زوايا) .. وهو تعبير هندسى أكثر منه تعبير شعرى . وحبذا لو قال (طوايا) النفس أو (خبايا) النفس .. بدلا من زواياها .

٤ - ويقول في موضع آخر :

ولا من أتاني (والها) متذللا
ويخنق في عينيه ظل المكيدة !

ولا يقال لمن يأتي متذللا (والها) ولكن يقال (ضارعا) .. والوله لغة ذهاب العقل من وجد وحيرة .. ومن يخنق في عينيه ظل المكيدة لا يأتى (والها) ولكنه يأتى « ضارعا » أو متظاهرا بالضراعة والتذلل .. كي يغرى ويغرى فريه ويمكره مكره .

٥ - وفي بيت آخر يقول :

تناقض حتى خلت عدة أوجه
توالت لعيني (زمرة) إثر (زمرة)

وحبذا لو قال (صورة) اثر (صورة) .. لان تلك الاوجه التى خالها الشاعر توالت لعينه .. لم تأت زمرا ولكنها بطبيعتها تأتى فرادى ولا مفر .. اى صورة بعد صورة . ولان في اتيانها زمرا اختلاط للصورة على وجه لا تتضح معه حقيقتها .

٦ - ويقول في بيت آخر :

(وبحر بلا ماء) وموج بلا صدى
يغمغم شيء فيه من كل وجهة

والبحر ما سمي بحرا الا لوجود الماء فيه .. ولا نعرف (بحرا بلا ماء) لانه ساعتئذ يكون الأخدود .. ويقال : ابحر الرجل وأبحرت السفينة .. اى ركب الرجل البحر ، واقلعت السفينة فوق العباب ..

الزيتون : عدنان أسعد

الى الاستاذ السمان

انى قرأت مقالكم السابق في عدد الرسالة (النقد بين المتهيبين والمتعالين) ووصلت في قراءة المقال الى قولكم : « **وانما أقصد الكثرة الكاثرة من الأدباء ممن هم في المتوسط وفوق المتوسط أو دونه ، فهؤلاء تتردد دور النشر عشرات المرات قبل أن تفكر في نشر**

انتاجهم» والواقع أنها ليست دور النشر فقط ، وانما المجلات وأولو الامر فيهـا أيضـا ، ثم قلتم : « ... **وهكذا تؤكد لنا دور النشر أن لديهـا من الامكانيات لتقييم الاسماء ، وليس لديها بكل أسف القدرة على تقييم الانتـاج الفكرى ... الخ** . »

فاثار هذا فى نفسى كوامن من الأسى والحنق . فالواقع أن هذه المشكلة ، مشكلة قديمة تفاقمت ، واتسعت ، فمع اتساع الفكر والثقافة وولود البراعم الجـديدة يقف النشر عقبة امامهم دائما . وانا اقول هذا لانى واحد من أولئك الضحايا ... فعندما بدأت مجلة الرسالة ـ مثلا ـ فى العودة ، وابدى الاستاذ الزيات استعداده للاهتمام بالكلمة بغض النظر عن صاحبها ، ودون مراعاة للبريق فى الاسماء . أرسلت الكثير ، والكثير الى المجلة منذ صدورها الى الآن ، ولم أجن من وراء ذلك سوى الصمت المطبق .

الواقع أن المشـكلة مشكلة صعبة ، والنصيحة الوحيدة التى يجب على الاديب الناشىء أن يسير عليها هى أن يوطد صلته ببعض ممن لهم الصولجـان فى الاوساط الادبية حتى يستطيع أن ينشر بعض ممـا يكتب .

انى كنت أرسلت منذ مدة الى الدار القومية مجموعة قصصية للنشر على أساس أنها خاضعة لوزارة الثقافة وكانت النتيجة أن المجموعة وقعت فى يدى الاستاذ صالح جودت ، فتصور ياسيدى ماذا كان تعقيبه ..؟ **« المؤلف غير معروف فى الاوساط الادبية .. المؤلف لم يسبق له أن تعـاقد مع الدار القومية من قبل »** ومن أجل هذا رفضت المجموعة ، ولم يحفل السيد حتى بمجرد قراءتها . وهكذا يكون تشجيع النشء عندنا . ولو كنت مثلا صديقا للسيد الاستاذ ، أولى به قريب معرفة لكانت تزكية منـه كافيـة بنشر المجموعة . وهذا جانب آخر من المشكلة بالاضافة الى الجانب الذى أثرتموه فى مقالكم وهو تردد دور النشر فى نشر انتـاج النشء .. وهكذا تتفاقم المشكلة ياسيدى ولا تجـد من حـل ... لا تشجيع من الصحف ، وأولى الامر فيهـا ، ولا من دور النشر والقائمين عليها . ولا حتى من الكتاب الذين وصلوا الى مكانة تؤهلهم لان يقولوا فى انتاج غيرهم قولتهم .

والموضوع كذلك ياسيدى ليس بموضوع الساعة وان كان جميلا منكم أن تثيروه ـ فلقد سبق ان اثير من قبل ، وقال فيه النقاد والكتاب والناشرون قولتهم ، وأبدوا استعدادهم للتشجيع ، ولكن للاسف يبدو انه كما يقول المثل كلام الليل يمحوه النهار » .

دسوق ـ السعيد بيومى الورقى
ليسانس آداب

بل كان شوقى متجنيا على عرابى ؟!!

لم يجث عرابى تحت أقدام أحد ؟؟ خلقه الله حرا كريما يابى الضيم على نفسه وعلى مواطنيه اذ هو أول فلاح من أعمـاق القرى هتف بحرية مصر وانف ان يخضع لحكم الفرد وقاد حركة قومية زلزلت أركان الحكم المطلق واستهدفت نقل السلطة من يد الحاكم المستبد الى أصحابها الحقيقيين وهم أبنـاء البـلاد ودافعوا الضرائب وهذا هو مفهوم الديمقراطية كما نعرفه اليوم .

وانه لقول فصل ما ذكره الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فيما كتبه للمستر برودلى بعد أن أبان عما كان بينه وبين عرابى من خلاف فى الراى قبل يوم عابدين اذ قال « ان الاجتماعات العامة المتنوعة التى عقدت بعد ذلك مبـاشرة للحصول على دستور برياسة سلطان باشا حولت فى الحال مقام عرابى من قائد جيش الى قائد مصر وحينئذ أصبحت وسلطان باشا والبلاد المصرية قاطبة من اتباع عرابى » .

وقد أشاد كثير من الاجانب بعرابى وحركته فذكر المستر برودلى فى هذا الشأن « بأن الامة المصرية كلها كانت فى جانب عرابى وأن عرابيا وأصحابه قـد أظهروا فى أداء رسالتهم أمانة تامة واعتدالا وروحا انسانية تشرفهم على مدى العصور » .

أعتقد أن من قبيل اللغو ما جاء بالرسـالة تحت عنوان « لم يكن شوقى متجنيا على عرابى ؟ » .

ونحن نتساءل متى كان رجال السراى ومن يلوذ بهم فى أى بلد من البلاد وفى أى عهد من العهود من القوامين على الاخـلاق ؟؟ وجلهم ما بين نفعى منافق وحاقد متـآمر وحلس فتنـة وخلب امرأة وحامل قارورة ؟؟

ان الأمية بين المتعلمين جناية لا تصيب المتعلم الأمى نفسه بل تصيب برشاشها سير أفذاذ الامة وأبطالها وأبنائها الاعـلام وتؤثر هـذه الترهات على عقول الناشئة الذين يبتغون مثـلا عليا لهم من بين هؤلاء الافذاذ .

على منصور جمعة
ليسانس حقوق

قصة العدد

فتاة صامتة

للاستاذ محمد المندى محمد

كلما اقترب موعد زيارتى لاسرة خطيبتى «كوثر» انتابنى الضيق والحنق ، كالانسان الذى يميل الى الهدوء والعزلة ويتدخل فى حياته فجاة شخص آخر يجبره على مشاهدة حفلة صاخبة تختلط فيها الصرخات بالصفير .. مع بكاء الاطفال !!

فقد اكتشفت ان خطيبتى « كوثر » تنظر الى من عل كانها تعتقد أنها قد انحدرت من أرومة لم يكن يجب على مثلى ان يتطلع اليها ، وهكذا ادركت ان حجبها المصطنع لم يكن الا ستارا لعقد القران !!

فجعت فى خطيبتى وانتابنى الندم لاننى لم أختبر اخلاقها وطباعها وعاداتها قبل ان تقع «الفاس فى الراس كما يقولون . لماذا اراها متعالية ، لماذا تلوذ بالصمت ، بل ماهى الاسباب التى تجعلها تميل الى العزلة وقد تم عقد القران وانتهى الامر ؟!

طافت براسى كل هذه الخواطر ولم اجد جوابا مقنعا . انها شريفة ليس فى ذلك ريب ، عفيفة ليس فى ذلك شبهة ، اسرتها مستقيمة ومحافظة ولم يحدث يوما فى حياتها مايشين ، هذا ما قاله لى صديقى « رجاء » الذى قدمنى الى اسرتها ، وهذا هو ايضا ما اكتشفته أنا فعلا ، ولكن كوثر فيها شىء معقد . شىء لم اكتشفه بعد .

ان كوثر جميلة تبدو على تقاطيعها سيماء الطهر والخشوع ولكن صمتها يلقى على جمالها قناعا من البرود ، متحفظة ولكن يشوب هذا التحفظ نوع من التكلف الفاجع ، فهى اذن جامدة ، باردة ، صامتة .. ومعنى هذا ان طبيعتها لا يمكن ابدا ان تلتقى مع طبيعتى المرحة ! .. ولو ادركت ذلك منذ البداية لآثرت الهروب من طريقها وتمنيت لها السعادة مع شخص « بارد » غيرى !! ولكن .. ان الاتفاق على « الزفاف » تم وفاتت الفرصة .. فهل اسجن نفسى بيدى مع فتاة اعلم سلفا ان طباعها تتنافر مع طباعى ؟!

واقترب موعد الزيارة وانا متردد ، تطوف بذهنى افكار وخواطر قابضة ، ولكن والدها كان قد دعانى على العشاء ولم ارفض دعوته ، وليس من حقى اعدار هـذا الوعد ، وهكذا .. اخذت طريقى الى بيت كوثر مضطرا .. !!!

وفى الطريق هجس فى صدرى خاطر غريب هو التحلل من قيود هذا الزواج ، فانا لااريد انازوج من دمية جميلة ، ولست من الغفلة بحيث ارتبط بفتاة شبه بكماء ، والحل الوحيد فى مثل هذا الظرف أن ابدو امامها جافا ، اكسو وجهى بطبقة من الجمود ، اتجاهل وجودها ، لن اتبادل معها الحديث ولا النظرات .. هذا هو الرد الوحيد للخروج من هذه الورطة !!

وفى المنزل جلست والكآبة تخيم على قلبى ، وكانت والدة كوثر تتحين الفرص لتبسم فى وجهى، ووالد كوثر يرسل عبارات الترحيب بلا حساب ، اما شقيقة كوثر الصغرى « نوال » فقد اخذت تروح هنا وهناك بمرح ، وفجأة رمقتني وقالت ضاحكة :

ــ ارجو ان يسرك طعامنا باكمال .. لقدصنعته كوثر بنفسها .. رفضت أن أضع يدى فيه .. وهى تريد أن تسمع رايك فيها كست بيت !

الأسرة طيبة ، تحاول أن تزيل بقايا الارتباك من نفسى .. تخصنى بالعطف والحب كأنى فتاها الوحيد المدلل ، لكن كوثر وحدها هى التى تهمنى هى التى سارتبط بها مدى الحياة ، هى التى ستجعل من حياتى قصة جميلة .. او ماساة مروعة !!

ودخلت كوثر مرفوعة الراس ، عابسة الوجه، كانها قادمة لتوها من مأتم ، وجلست صامتة كأنها بكماء ، والعياذ بالله . هل تحب أحدا غيرى ، هل هى شاذة ؟! واذا لم تكن هذا أو ذاك فلماذا تجلس والخجل يكاد يقتلها ؟!

واهتز والدها ، وهو شيخ هرم نحيل انهك الهرم قواه ، وحفظت عيناه شرارة الحياة ، ولمس بيد مرتجفة طاقيته الحريرية الخضراء التى كانت

تفطى صامته اللامعة فى ارتبـــاك وتنحنح ونظر لكوثر ، ثم حدق فى ، وقال وهو يصافحنى بصوت واهن اجش :

ـ ان كوثر ياولدى فتاة مرحة ، ولكنها ترتبك فى حضرة الغرباء ، وارجو ـ ياولدى ـ ان تخرجها عن هذه العادة المرذولة التى اصبحت لا تتفق مع روح العصر !!

وضحك الشيخ ضحـكة قصـيرة وهو يرمقنى بقلق ، فلم اجبه ، ورحت اتامل صورته الشـابة المعلقة على الحائط لأدارى ماكنت اشـعر به من حنق ، فارتفع المسكين قليلا عن كرسيه ، والقى على كوثر نظرة حائرة مبهمة ، وعلت وجهه الكآبة، فقد بقيت كوثر مطرقة كانما قد اصرت على عدم النطق !!

واقبلت الأم ، وقالت ضاحكة

ـ ارجو ان تخرج كوثر عن عادتها ، انها تميل الى العزلة ، ليس بها عيب، وفى الحق..و..و..

ولم تستطع الام ان تواصـل كلامها وهى ترى كوثر مطرقة شـاحبة تـكاد تغوص فى المقعـد ، وضحكت الأم ضحكة قصـيرة وخرجت مهـرولة كاسفة البال . ثم سادت فترة سكون ، كان فى خلالها الشيخ يسـاقط على باستمرار نظرة تدل على مدى مايعتمل فى نفسه من الاسف لجمود ابنته غير المتوقع ، وأخيرا بدا له فجاة انه وجد موضوعا للحديث يبدد ذلك الصمت ، فقال بصوت عميق مبهم:

ـ اؤكد لك ان كوثر لطيفة ، ولـكنها خجولة جدا ، وارجو ان يزول هذا الخجل فى وقت قريب!!

وتشجعت «نوال» وقالت على الاثر وهى تبسم فى وجهى :

ـ لماذا لاتخرجان فى نزهة خلوية تمحو هـــذا التكلف الذى اراه فى غير موضعه ؟ !

قالت ذلك وضحكت عاليا ، وفى الحق ان نوال اشاعت جوا من المرح ، وتمنيت فى قرارة النفس لو انهـا هى التى كانت زوجة لى بدلا من هــذه البكماء !!

ولكى اخرجهـا عن دائرة الصـمت ، حبذت الخروج فى تحفظ ، فى حين أن والدها الشيخ كان يعيرنى اذنا صاغية ، اذ كنت ارى راســه يرتفع شيئا فشيئا ، وارى قبسا بضيء وجهه الضـامر حتى يكاد يمحو منه تجاعيده ، وقال :

ـ هذا صحيح .. واعتقد لو انكما خرجتما قبل عقد القران لما كان هذا حالكما !!

وضحك وهو يرمق كوثر التى اطرقت خجلى ، ولكى اظهر لها انى جدير بهـذه المنحة المفاجئة رمقتها وقلت :

ـ ما رايك ياكوثر ؟ !

قلت ذلك وكدت اصيح فيها منفجرا .. انطقى أيتها البكماء !!

وبينما كنت أتوقع منها الموافقة وأن هـذه الدعوة تكسبنى اكبر قسـط من اهتمامها ، رايت دهشـا اعراض الملل والضجر ترتسم على جبينها، فتبينت عندئذ انى سوء الحظ مع هذه الفتاة !

واخيرا لمعت فى ذهنى حيلة جهنمية لاتليق فى مثل هذا المجلس ، ولكن المضـطر يركب الصعب من الامور كما يقول المثل ، فلماذا لا انتهز هـذه الفرصة .. فرصة اعراضـها عنى ، واتمسـك بمسالة الخروج معها ؟

وفى الحق وجدت أن هذه الفكرة وجيهة جـدا ، لأسبر غورها وأقف على حقيقة مشاعرها ، فان قبلت كان بها ونعمت ، وان رفضت فليس ثمة مايحـول بينى وبين فصم القران فى مـستهله ، سالقى عليها بالكلمة الفاصلة عنـدئذ وانا مرتاح الضمير .. !!

وارسلت بصرى خلسة الى كوثر ، فوجدتهـا تفرك راحتيها بعصبية ، كانها تبذل مجهودا فوق طاقتها لتجلس معى ، أو كانهـا تستهجن هـذه الجلسـة العائلية التى يبدو انها قد اجبرت عليها !

واخيرا ، رفعت راسها ورمقتنى ، وخيل الى انها ستعتذر ، وتنصرف ، ولكنها قالت فى تؤدة وبلهجة لا تشجع اطلاقا على الحرص عليها كزوجة المستقبل :

ـ اعتقد ان خروج الفتاة مع الشـاب منفردة قبل الزفاف..ليس من الامور المستحبة اطلاقا !!

وكدت اصيح محتجا : عن اى فتاة وأى شاب تتحدثين ياكوثر ؟!

وفى هذه اللحظة ظهرت والدة كوثر على الباب، واختفت الابتسامة من وجه والدها الشيخ وهو يرمق غضبى المفاجيء ، وراح يتبادل النظر مع زوجته وابنته نوال فى حيرة كأنه يقول لهما « انظروا .. ان هذه الفتاة خلقت من جماد .. ولن تصلح كزوجة اطلاقا !! »

وقالت والدة كوثر على الفور

ـ أنا احبذ خروجكما غدا وقت الأصيل فى نزهة خلوية واضيف اليها سهرة فى مسرح البالون تجمعنا .. فما رأيك ياكوثر ؟!

قالت ذلك وحدجت كوثر بنظرة تحمل الف معنى ، أو كأنها تقول : هذه هى فرصتك الاخيرة حتى لايخرج خطيبك عن طوره ويلقى بالكلمة التى تندم عند سماعها كل فتاة !!

وحملقت نوال فى اختها كوثر دهشة ، ثم رمقتنى وقالت بحماس :

ـ مسرح البالون !! يالها من فكرة رائعة ياأمى!! وقال والد كوثر فى اغتباط :

ـ هذه فكرة حسنة ! ولو ان ذلك سيكون على حسابى لأننى كما ترون لا أستطيع أن أبرح المنزل! وضحك الشيخ ، وراحت الأعين كلها ترمق كوثر .

ودارت كوثر بعينيها ، وتضرجت وجنتاها ، وبدا عليها المرح فجأة ، ومضت تتحدث كأنها كانت سجينة وانطلقت . وبعد لحظات اولتنى اهتماما واعجابا اذهلانى ، بل وحمدت للأقدار ان هيأت لى فتاة مثلها .. لماذا كان يبدو عليها الجمود ؟ لماذا كانت صامتة طوال اسابيع ؛ هذا ما لم استطع ان اجد له تفسيرا ، غير اننى تنبهت الى ان كوثر على قدر كبير من الذكاء بعد أن انحلت عقدتها .

وطابت السهره ، وتغلغل حديث كوثر العذب حتى اعماق قلبى ، وعندما خرجت ، ضغطت ام كوثر على كفى وقالت بمرح :

ـ كن مترفقا بكوثر يا ولدى .. انها لم تختلط باشخاص غرباء .. انها فتاة طيبة فيها عطر الانوثة وطهارتها .. وما شاهدته من غرابة تصرفاتها لم يكن فى حقيقة الأمر الا قناعا زائفا يحجب فتاة زكية مرحة وطيبة .. و ... وارجو لكما السعادة من قلبى !!

وترقرقت الدموع فى عينى ، لبساطة الام وطيبتها . وخرجت من المنزل وصورة كوثر تملأ قلبى ، وهى التى كانت من لحظات فقط تبدو لى كالتمثال .. وبينما كنت فى الطريق ، قفز أمامى سؤال كعلامة استفهام ضخمة : ترى هل جميع الفتيات هكذا ؟ لاادرى !

محمود المندى محمد

بقية مذكرات طاغور عن طفولته

العلوم الطبيعية . وكنت اهتم اهتماما بالغا بتلك الدروس . وكانت نفسى تمتلىء بالعجب عندما كنت ارقب أستاذ العلوم الطبيعية وهو يجرى أمامنا بعض التجارب البسيطة . يفصل التراب عن الماء فى أنبوبة الاختبار .. ويرسب المواد المعدنية ، وتفاعل الأحماض .. وما الى ذلك . وكانت أيام الآحاد ، لا تبدأ كذلك ، الا اذا قدم سيتانات بابو ، مدرس العلوم الطبيعية !

وفى بعض الايام كان يأتى لزيارتنا ، طالب فى كلية طب كامبل ، فيحدثنا عن عظام الانسان ، ويرسم لنا الهيكل العظمى ، كما كان يفد علينا من حين لآخر ، باندبت تاتوارانتا ليعلمنا قواعد اللغة السنسكريتية .

وبدأنا نتعلم الانجليزية ، بعد أن قطعنا شوطا بعيدا فى تعلم البنغالية . وكان معلمنا للغة الانجليزية ، آغور بابو ، يدرس فى كلية الطب ، لهذا عمد الى أن يأتى الينا فى المساء . وتقول لنا الكتب ، بأن اكتشاف النار ، من أعظم اكتشافات الانسانية . وأنا لا اريد أن أنازع فى هذا الرأى . ولكنى لا أستطيع أن أكف عن التصور : كيف أن الطيور الصغيرة سعيدة الحظ، لان آباءها ، لايوقدون لها مصباحا فى الليل ، وأنها لا تتلقى دروسها اللغوية فى الساعات الاولى من الصباح . وبالطبع يجب علينا ألا نأسف ، لسبب عدم الزامهم بتعلم اللغة الانجليزية . ومع ذلك ، لا استطيع أن أزعم بأن آغوربابو ، كان رجلا فظا غليظ القلب . فلم يكن يعلمنا بالعصا كما كان يفعل غيره . ومهما كانت بواعث انفعالاتى ، فان موعده معنا كان فى المساء .. وكان موضوع الدرس : اللغة الانجليزية .. وكفى.!

حورية حجازى



الدار القومية للطباعة والنشر